الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة عبد الحميد بن باديس مستغانم

كلية الأدب العربي والفنون

قسم: الأدب العربي

أثر الحرب على الكتابة الشعرية الفلسطينية

مذكرة تخرج لنيل شهادة في الأدب العربي

- تخصص: أدب و حضارة

إعداد الطالبة:

- نظور نبيلة

حمودي

إشراف الأستاذ:

- د. محمد

السنة الجامعية: 2015 - 2016

الإهداء

أهدي ثمرة جهودي المتواضعة إلى الذين قال فيهم الرحمن "وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا، إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهام أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما"

إلى من شقت بدموعها زهرة شبابي ودعاؤها كان ذخر مسيرتي وسر صمودي إلى من احترقت لتنير دربي إلى نبع العطف الذي لا ينفد ومصدر الحنان الذي لا يزول إلى من وهبتني الحياة هدية "أمي الغالية"

إلى كل من حملهم قلبي ولم يكتبهم قلمي

إلى والدي الغالي الذي رباني فأحسن تربيتي وساندني طوال مسيرتي الدراسية فجزاه الله عني خير الجزاء.

إلى شريكي حياتي زوجي وأبو إبني الذي سقى حديقة دراستي بدعمه ومساعدته لي

إلى كل من يحمل لقب "نظور"، "بن خليفة"، "حيدرة"، "عمور"، بلجيلالي".

إلى اخواتي نوال، أمينة، سمية، عتيقة، وإلى شمعة عائلتي محمد عبد الهادي، عبد الجليل، محمد ريان.

إلى أعز أصدقائي اللواتي رافقوني طيلة مشواري الدراسي: عائشة، جنات، أسماء، نورية، يمينة ...

وإلى كل طلبة قسم الأدب العربي دفعة 2015 - 2016، وخاصة تخصص أدب وحضارة.

إلى كل هؤلاء أهدي ثمرة جهودي كعصارة لمشواري الدراسي الطويل.

نبيلة

كلمة شكر

الحمد لله الذي يسر لنا بمديد فضله سلب المعارف وبسط علينا بقدرته وكرمه من نغمة أصناف اللطائف، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه الفاضل.

يقول عز وجل: بسم الله الرحمن الرحيم

"واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا ..."

سورة آل عمران - الآية 103.

الشكر الأول والأخير لله عز وجل، البديع بصنعه والحكيم وضعه، المفيض على من اصطفاهم من عباده وابل فضله وكرمه، نحمده هدانا بفضله إلى الصراط المستقيم، صراط الذين حازوا فضل العلم والتعليم، يقول الشافعي:

تعلم فليس المرء يولد عالما وليس أخو علم كمن هو جاهل

نتقدم بكل تقدير واحترام، وخالص الشكر والعرفان إلى كل من سقط من ينبوع علمه، ولو بقطرة من بحر المعرفة، إلى أستاذنا الفاضل "حمودي محمد" الذي لم يبخل علينا بما أنعمه اللع عليه من عمله وما قدمه لي من توجيهات

أتقدم بالشكر إلى زوجي وإبني وأمي وأبي وأخواتي لدعمهم لي

كما أتقدم بالشكر واحترام إلى جميع أساتذة كلية الأدب العربي، وأخص بالذر الأستاذين الكريمين، لزعر، لحسن، بنزة

كما لا ننسى كل من مد لي يد العون عمال المكتبة

إلى روح كل شهيد قضى في سبيل الله مدافعا عن مقدسات فلسطين وتراثها الغالي.

بسم الله الرحمن الرحيم

" الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله "

صدق الله العظيم

سورة الأعراف - الآية: 43

بسم الله والصلاة والسلام على رسول الله والحمد لله الذي أعاننا على إتمام وإنجاز هذا الموضوع والعمل فله الحمد و الشكر.

لقد تعددت وصر وأشكال المعارك أبناء العروبة مع أعدائها، إذ لم تقتصر على الكفاح المسلح بل كان للكلمة دور فعال لا يقل شأن عن دولا البندقية في مراحل النضال المختلفة، من خلال الشعر العربي الذي انطلق من أفواه الشعراء مواكب للأحداث الهامة التي مرت بها أمتنا العربي في تاريخها النضالي.

والشاعر العربي كان على مستوى عال من الوعيد النضالي فسخر شعره لرفع مستوى أمته عاليا، فأصبح الشاعر بذلك خطرا كبيرا على الإستعمار وأعوانه، وبالتالي أعطاه مسوغا لإطفاء صوته وإخماده وذلك لأن هذا الشاعر كان يكتب ويغني للمظلومين والمجاهدين وللفدائيين ويقول"

أن إن سقطت فخد مكاني يا رفيقي في الكفاح
وأحمل سلاحي لا يخفك دمي يسيل من السلاح
وأنظر إلى شفتي أطبقتا على هوج الرياح
أنا لم أمت أنا لم أزل أدعوك من خلق الجراح.

وتبقى فلسطين ومأساتها جرح ينزف منذ سنين طويلة هزت ضمير العالم أجمع وقد تنعكس الشعراء العرب وبخاصة شعراء فلسطين، فكانوا سلاحا فعالا كالصاروخ الجاهز للانطلاق، وكان شعرهم على مستوى قضية وطنهم وما بخلوا يوما بالمداد ولا بالدماء، والدب الفلسطيني ترعرع تحت راية المفهوم الأصيل والعميق في الحياة العربية "واطلبوا الموت توهب لكم الحياة، لقد أتينا لكم برجال يحبون الموت كما يحبون الحياة" ولذا كان اختياري لموضوع بحثي موسوما بعنوان "أثر الحربيب على الكتابة الشعرية الفلسطينية (معين بسيسو نموذجا).

ولم يكن اختياري لهذا الموضوع من باب الصدفة وإنما بعد تفكير معمق وذلك لأسباب نذكر منها: "كون هذا الموضوع جدير بالدراسة وفضولا مني لمعرفة تأثر أبناء فلسطين خاصة والعرب عامة بالقضية الفلسطينية ملمة بالجراح كونها جزء لا يتجزأ من.....

أما اختيارنا "لمعين بسيسو" نموذجا كون شعره على ترادف الزمان هو الصوت الذي ينادي بالإنسانية والثورة التحريرية المنبعثة في كلماته عبر صرخة معجونة بخميرة شعرية فهو شاعر المعركة فجاءت خطة بحثي على النهج التالي:

مقدمة ثم يليها تمهيد يعطي مسحة عامة لموضوع البحث ولقد قسمت البحث إلى فصلين تناولت في الفصل الأول تجليات المقاومة في شعر معين بسيسو بسطت فيه كل من (حياته، مولده، نشأته وأعماله) ثم درست في هذا الفصل قضايا في شعر معين ناقشت فيها الخطابية والمباشرة، ثم المعجم الشعري الذي تميز به الشاعر معين بسيسو وتناولت في الأخير في هذا الفصل تجليات المقاومة درست فيها معين بسيسو شاعر المقاومة والوحدة الوطنية وأفردت فيه أيضا موضوعة الوطن وتجربته الإعتقالية في السجون، أما الفصل الثاني فيتمثل في تحليل قصائد معين بسيسو وكان فصلا تطبيقيا تابع للفصل النظري اعتمدت فيه على دراسة جمالية للقول الشعري عند الشاعر بسيسو كانت قصيدته "المعركة" أنموذجا.

ولقد اعتمدنا في دراسة هذه على منهج اتخذته وسيلة لسبر أغوار هذا الموضوع هو المنهج الوصفي التحليلي، يعتمد على الإستقرار والإستبدال كما استعنت بالمنهج التاريخي بغية التعريف بالشاعر وحياته وصولا إلى الخاتمة التي عرضت فيها جملة من النتائج التي توصلت إليها.

ومن أهم المصادر والمراجع التي استأنست بها في بحثي هذا هي: ديوان معين بسيسو - جماليات القصيدة الفلسطينية لماهر اليوسفي، شعر الحقيقة، دراسة في نتاج معين بسيسو لمحي الدين صبحي.

هذا لا يمنع من مواجهتي للصعوبات في إنجاز هذا البحث منها نقص مراجع وصعوبة الحصول عليها، وهذا دون أن ننكر مجهودات أستاذي المشرف الذي كان نعم المعين عليا فتابعني حتى النهاية ولم يتهاون أبدا في تقديم أي مجهودات أو نصائح "السيد محمد حمودي فله مني الشكر والتقدير لأستاذي الكريم.

نظور نبيلة

يكتب الفلسطيني لأنه يؤرخ للذاكرة والتاريخ ، ويخشى ما تبقى من ضياع الوطن، ويكتب لأن الكثير من أوجاعه لا تلملمها غير الكتابة وقد تفلح في نكئها في أحايين كثيرة، ويكتب أيضا لأنه مسكون بأرض بعيد المنال، لا تترائى له إلا قصيدة ممشوقة القوافي، أو قصة فصلها الأول وجع، وفصلها الأخير شوق للحرية والإستقلال.

فالأدب الفلسطيني أزهر حين كانت فلسطين الأرض تعيش خريفها، بجاد رغم كل الخيبات المحيطة بها فأنبرى الشعراء إلى بناء صورة للذات الفلسطينية القادرة على الصمود وحفظ هوية الوطن وحفرها تفاصيلا غائرة في الذاكرة

الدب الفلسطيني هو واحد من العديد من الآداب العربية، ولكن الانتماء له وطني وغالبا ما يتميز المنفى، الخسارة، الحب، الشوق للوطن أمل في الحرية والاستقلال، فالدب الفلسطيني من أشد الآداب التصاقا بشخصية شعبه وأهدافها في التعبير عن همومه تعبيرا حيا، وعن العطاء الذي يقدمه الفلسطينيون لوطنهم وقدرتهم على الصمود والمقارنة والتضحية وأصبح أركان هذا الأدب من شعر ورواية وقصة ومقالة ونقد وبحث ودراسة في مستوى لا يقل عما بلغته الآداب العربية المتقدمة.

الأدب الفلسطيني سلاح مقاومة له مهمة للدفاع والصمود فلم يتبقى لنا الكثير من الأسلحة ولكن سيبقى لنا دائما الكثير من الكلمات التي تنسج الحلم وتحلق نحو الحرية، ترحل مع خيوط الشمس مهما طالت ظلمة الليل، لابد لكل أديب فلسطيني أن يكون على يقين لأي واقع إنساني يكتب عنه الأدب الفلسطيني أدب الرسالة والأمانة والصدق والدفاع عن الإيمان والوطن والشرف أما عدو انتهك كل معاني الإنسانية والأخلاق والضمير لدى تبدوا مهمة الأديب الفلسطيني مختلفة عن كل أدباء العالم لأنها جدة مؤلمة وخالدة.

النكبة مصطلح فلسطيني يبحث في مأساة الإنسانية المتعلقة بتشريد عدد كبير من الشعب الفلسطيني خارج دياره، وهو الإسم الذي يطلقه الفلسطينيون على تهجيرهم وهدم معظم معالم مجتمعاتهم عام 1948م، وهي السنة التي طرد فيها الشعب الفلسطيني من بيته وأرضه وخسر وطنه لصالح إقامة الدولة الإسرائيلية اليهودية، وتشمل أحداث النكبة باحتلال معظم أراضي فلسطين من قبل الحركة الصهيوني، وطرد أكثر من 750 ألف فلسطيني وتحويلهم إلى لاجئين كما تشمل الأحداث عشرات المجازر والفظائع و أعمال

النهب ضد الفلسطينيين وهدم أكثر من 500 قرية، وتدمير المدن الفلسطينية الرئيسية وتحويلها إلى مدن يهودية، وطرد معظم القبائل التي كانت تعيش في النقب ومحاولة تدمير الهوية الفلسطينية ومحو الأسماء الجغرافية العربية، وتبديلها بأسماء عبرية وتدمير طبيعة البلاد من خلالا خلق مشهد طبيعي أوروبي، في عام 1948 حافت النكبة بالوطن الفلسطيني، وأدت إلى تهجير وتشريد الآلاف من أبناء شعبنا العربي الفلسطيني الذين تحولوا إلى لاجئيين منفيين في الخيام السود، وهناك من واجه البنادق وتحدى الخوف والإقتلاع وأبى التشرد والتهجير، وبقي صامدا وراسخا ومتشبث بأرضه ووطنه وجذوره.

ولا شك أن الزلزال والمأساة التي حلت بالشعب الفلسطيني قد هزت وجدان عشاق الكلمة والحرف، وأشعلت فيهم الحماس والعواطف وفجرت فيهم ينابيع الشعر وأمدتهم بطاقة الإبداع، وانطلق الشعر الصاخب والغاضب المتجاوب مع الضمير والنبض الشعبي، وبدأ يتأسس في الخارج أدب عربي فلسطيني و أدب المنافي واللجوء والشتات تميز هذا الأدب بالشجن والأسى، وامتلأ بأمل وحلم العودة إلى الديار ونلمس ذلك في قصيدة هارون هاشم:

سنرجع يوما إلى حبنا ونغرق في دافئات المنى
سنرجع أخبرني العندليب غداة التقينا على منحى

أما زيتونة فلسطين الشاعر الفلسطيني الخالد عبد الكريم الكرمي (أبو سلمى) الذي شرد من وطنه وحمل فلسطيني في قلبه وروحه وظلت مفاتيح بيته في جيبه، وعاش شريدا طريدا فيسأل:

يا فلسطين ! وكيف الملتقى هل أرى بعد النوى أقدس ترب

وهذا الشاهر نشأ مع الحرب وعاشها بكل جوارحه، وذاق طعم الغربة والتشرد والحرمان وقاسى الآلام والجراح الفلسطينية، وكتب بالدمع والدم وخلجات القلب قصائد ديوانه "المتشرد" المشحونة بالغضب والثورة والحنين لتراب الوطن الغالي والمقدس، وبقي مؤمنا بحتمية انتصار قضية شعبه الذي قدم تضحيات الجسام وسجل ملامح الصمود والبطولة وهو يعلنها صرخة عالية ومدوية في وجه الغازي المغتصب:

قل للذين حبو على وطني ما بيننا الأيام والحقب

من قبلكم مر الطغاة بنا هل تعثرت بهم ؟ لقد ذهبوا

عصفت بهم نار مقدسة فإذا بهم لجهنم حطب

إن شعر الحنين الذي تميز به "أبو سلمى" ممزوج بالأمل الثوري وتجاوز الواقع وانتصار الحلم الفلسطيني ... لنسمعه يقول هاتفا:

أختاه لا تبكي على ديارنا فالتربة السمراء في انتظارنا

نلثمها بالحلم حتى نلتقي شفاهنا على سنى تذكارنا

لا تسألي أين الهوى ولم يزل يمشي المجون على آثارنا

هنالك العديد من الشعراء الفلسطينيين ، الذين صوروا المأساة الفلسطينية ، وكتبوا عن اللاجئين وحياتهم القاسية في المخيمات. وعكسوا في أشعارهم آلام النكبة والتشرد والضياع والعذاب النفسي والشعور بالغربة والاغتراب ، منهم خليل رقطان وهارون هاشم رشيد ويوسف الخطيب وحسن البحيري ومعين بسيسو وتوفيق الصايغ وجبرا إبراهيم جبرا . بالإضافة إلى شاعرتنا الكبيرة خنساء:

يا وطني مالك يحنى على روحك معنى الموت معنى العدم

جرحك ما أعمق أغواره كم يتنزى تحت ناب الألم

أين الألى استصرختم ضارعاً تحسبهم ذراك والمعتصم

أما في الداخل الفلسطيني ، ففي ظل الحصار الفلسطيني والحكم العسكري البغيض ، الذي فرضته المؤسسة الصهيونية الحاكمة عل الجماهير العربية الفلسطينية ،التي تمسكت بالأرض والهوية والزيتونة ، كان الشعر الشعبي هو السباق في نشر وتوجيه نداء المقاومة والكفاح ، والتجاوب مع الحدث والواقع القهري الاضطهادي المرير، والتفاعل مع الأوضاع الجديدة والحركات العربية . وقد تحولت الأعراس في الجليل الفلسطيني إلى مظاهرات احتجاج وغضب ساطع ضد سياسة النهب والمصادرة والاقتلاع من الوطن . ولا يزال الشيوخ وكبار ، ممن عاصروا تلك المرحلة، يتذكرون الأهازيج الشعبية ، التي كان يرددها الزجالون الشعبيون الفلسطينيون ، وأبرزها أهزوجة "نادى المنادي" التي تقول:

نادي المنادي في الجليل ارض العروبة للعرب

شاغورنا مالك مثيل وترابك أغلى من الذهب

وبوحدة رجال الشاغور أمر المصادرة انشطب

ديان أمرك مستحيل بالوحدة راح ينشطب

ولعبت طلائع المثقفة الفلسطينية المتبصرة بالفكر التقدمي الثوري الإنساني دورا بارزا في ولادة أدب المقاومة والإحتجاج، وفي خضم الواقع الذي أفرزته النكبة ولدت القصائد والأشعار الحماسية ذات النبرة النارية، التي استهلت المأساة وعكست الوجع الفلسطيني والأوضاع الجديدة، ويبدوا أثر النكبة واضحا في عشرات النصوص الشعرية والأعمال الإبداعية لشعرائنا الفلسطينيين الأوائل من أمثال حنا أبو حنا وتوفيق زياد وسميح القاسم، ومحمود درويش وراشد حسين وسواهم.

ولقد تفرد الشاعر الشهيد راشد حسين الذي مات احتراقا واختناقا في غرفته بنيويورك، بين شعراء جيله بمجموعة من القصائد التي يتحدث فيها بشمولية ودقة، وعن حياة اللاجئين الفلسطينيين في المخيمات والمنافي القسرية، وهو في هذه القصائد بكثير من استخدام التعابير والمفردات التي تدل على هول السلبي الفلسطيني الذي ولدته الحرب ويظهر ذلك بجلاء ووضوح في قصائده "الخيمة الصفراء" و"أزهار من جهنم" و "إلى عمي في الأردن لنسمعه يقول:

في الخيام السود في الأغلال في ظل جهنم

سجنوا شعبي واوصوه بألا يتكلم

هددوه بسياطه الجند بالموت المحتم

أو بقطع القمة النتنة ، إن يوماً تألم

أما في قصيدته "لاجئون" فنستشف الحزن النابع من أعماق ، والإحساس العارم بالقهر نتيجة الإذلال والبطش والظلم الإنساني الذي لحق بشعبه ،جراء طرده من وطنه ووقوعه تحت وكالة غوث اللاجئين ، التي توزع المواد التموينية على اللاجئين الفلسطينيين:

وترى نجوم الليل مثل معسكرات اللاجئين

وكهيئة الغوث الحزينة يخطر القمر الحزين

بحولة من جبنة صفراء أو بعض الطحين

وغربة الإنسان الفلسطيني وبعده عن وطنه، كانت أحد الموضوعات الرئيسية ، التي طرق أبوابها الشعراء والمبدعون الفلسطينيون في الداخل ومناطق الشتات القسرية . وقد تغنوا بها وصاغوا أشعارا تتراوح بين رنة الحزن والأسى والحنين والشوق المستعر في أفئدة المغتربين والمشردين ، ظمأً للعودة ولوعة وتوقاً للقاء الأحبة،واستحضاراً للذكريات الجميلة في الوطن تحت أفياء وظلال الزيتون والكروم الجليلية.

في الإجمال يمكن القول أن الحرب كانت وستظل نبعا لا يجف ومعينا لا بنبض في شعر الفلسطيني، وجعلت من هذا الشعر شعرا عربيا وقوميا وثوريا، ومقاوما ومنحازا للفقراء وأبناء الشوارع والأرصفة والمخيم، ورافضا لواقع التشرد والبؤس والشقاء والعذاب الإنساني الفلسطيني، اشتد نبض شعرائنا وإيمانهم بالوعد الذي أعطته المقاومة وأضاءت كلماتهم المقاتلة ليل واقع المرير، وزرعوا الأماني بلسما على جرح ونكب، ونشر الأمل على جهات الروح ونثرا العبير على الجرح الفلسطيني الذي لم يندمل حتى الآن.

فلسطين لم تكن كيانا جغرافيا ومكانيا فقط بل كانت مصدر إلهام الكثير من الأدباء والشعراء الفلسطينيين نتيجة الأحداث المأساوية والهزات العنيفة التي ضربت فلسطين والتي دفعت الكثير من أبناء الشعب الفلسطيني أن ينسجوا من أحداثه روايات وقصص وقصائد كانت تأخذ الطابع الوطني كردة فعل ثقافية نحوا أحداث مفصلة هددت فلسطين في حاضرها ومستقبلها.

يطرح الأديب الفلسطيني أهمية قصوى ليست أبدا قيمة من المقاومة المسلحة ذاتها وبالتالي فإن رصدها واستقصاءها وكشف أعماقها تظل ضرورة لا غنى عنها لفهم الأرض التي ترتكز عليها بنادق الكفاح المسلح.

مأساة فلسطين في حجمها وفي حد ذاتها أكبر مأساة إنسانية ألمت بالأمة العربية ولا تزال هذه المأساة ساخنة، ملتهبة، متفجرة ومفتوحة لدرجة أنها أصبحت مأساة العرب الكبرى وقضية أولى قضية وجودهم ومصيرهم، فكان الأدب محرك للأحداث وصدى لها يقول سمح القاسم:

ربما تسلبني آخر شبرا من ترابي ربما تطعم للسجن شبابي
ربما تسطو على ميراث جدي من أثاث وأوان وخوابي

ربما تحرق أشعاري وكدي ربما تطعم لحمي للكلاب
ربما تبقى على قريتنا كابوس رعب يا عدو الشمس
لكن لن أساوم إلى آخر نبض في عروقي سأقاوم

قالها فلسطيني، فلسطيني ثورتي والسجن مدرستي وضرب الحجارة هوايتي وأنا ابن فلسطين لن أركع، فليزغرد الرصاص من بنادق الفهود ولتجتث الخيانة بفعل سواعد الأسود وتحت اسم فلسطين نحن أوفى جنود.

يعتبر الأدب الفلسطيني بحد ذاته معنى فلسطينيا إبداعيا إستثنائيا، في حركة الدب العربي والدب الإنساني على مستوى الدب العالمي على امتداد خارطة الإبداع المتوزع على أرجاء المعمورة، ولأن الشعر فعل إبداعي فإن الصعود للقيمة الإبداعية المطلقة أو المتميزة على الأقل، تعتمد على قدرة الشاعر ذاته وممكناته الأخلاقية في إيصال صوته إلى قرائه بتفوق حاد ورائع، وشيق العذوبة والسحر والبيان، لذا فالفعل الإبداعي يشك القيمة العليا للأدب، ثم تتدرج المنزلة إلى القيمة الدنيا والتي تصل في مرحلة من مراحل إلى موت تلك القيمة عندما تصبح قدرة الذي يمارس فعل الكتابة قدرة إستهلاكية متدنية، تلتقط الأفكار من هنا وهناك وتلتقط المستنسخ المتكرر عبر زحام، الأصوات والكتبة العابرون.

فللشعر الفلسطيني قيمة وطنية رائعة بذل شعراؤنا في سبيل موازنتها بخندق الطلقة جهودهم وأعمارهم ونزيف قلوبهم المجنونة بحب فلسطين ... وعشقها لدرجة الوله والذوبان، تلك قيمة عالية غالية جدا تسجل في صفائحهم العامرة بالمجد والجد طوال الحياة.

فللشعر قدرة فعالة فائقة في ساحات معركة المصير، والفعل المحرض للأجيال لاستكمال بناء درب التحرير والثأر والعودة ... وعى هذا مناضلو الشعر والخندق الأوائل ومن جاء بعدهم، والشعراء المربون والشهداء الشعراء والذين في سبيل الوطن كما يحب الأعداء الحياة !!!

ومعين بسيسو واحد من شعراء الكوكبة الأولى المناضلة بالكلمة والطلقة وقبل رحيله رسخ في ذاكرة الأجيال فكر ثورات جنون العشق الوني جيلا بعد جيل لتظل فلسطين حاضرة على امتداد الدهر في تلك الذاكرة الحية، وقصائده عاد من أعمدة الشعر العربي والإنساني ... تناقلها لغات الأرض قيمة وطنية نضالية تمثل قيمة نهوض الشعوب إلى

استقلالها وحريتها وخلاصها بما تملك من دم حر، وشعر إنساني مقاوم، وكلمة تزاحم الطلقة في خندقها كتزاحم الجهات في اندفاعها للأعالي، والجياد في ساحاتها باندفاعها للأمام المظفر، والرجال نحو الشهادة !!! ولو اقتطفنا مقاطع من شعر معين بسيسو لوقفنا على أهمية الشاعر وشعره في بناء مجد ثقافتنا الوطنية، وخلود إنسانيتنا في قصائدنا، وزحفنا المقاوم بالرصاصة والكلمة المعبرة والمؤثرة:

... استشهد الماء ولا يزل يقاتل الندى
استشهد الصوت ولم يزل يقاتل الصدى
وأنت بين الماء والندى
وأنت بين الصوت والصدى
فراشة تطير من آخر المدى

سيرة الشاعر "معين بسيسو" (مولده، نشأة، دراسته)

إسمه الكامل "معين توفيق سيد خليل بسيسو"

ولد الشاعر المناضل الشيوعي اليساري، شاعر الثورة والشعب معين توفيق سيد خليل بسيسو في غزة عام 1926م تلقى دراسته الإبتدائية في حي الشجاعية لمدينة غزة، ودرس عاما واحدا في مدرسة المطران بعمان، وفي كلية غزة الوطنية درس المرحلتين الإعدادية والثانوية (1948-1952) وتخرج من قسم الصحافة كان موضوع رسالته "الكلمة المنطوقة والمسموعة في برامج إذاعة الشرق الأدنى" تدور حول الحدود الفاصلة بين المذياع والتلفزيون من جهة والكلمة المطبوعة في الصحيفة من جهة أخرى ونفس عام تخرجه 1952أصدر ديوانه الأول "المعركة" ولقد لحقه البوليس الملكي المصري وهو يقوم بمحاولته طباعة هذا الديوان واحتمى ببعض أصدقائه أدباء الثورة في مصر أمثال عبد الرحمن خميس وقد سبقته المرحلة المصرية في حياته، شعره، ذوقه ومزاجه فهو ترعرع ونما في أحضان الحركة الثقافية في مصر ارتبط بصداقات هي الأعمق في حياته وبخاصة مع عبد الرحمن خميس الشاعر والقاضي و الفنان والمخرج السينمائي ودائما تكلم بحب عن الخميسي وهو الذي استضافه مرارا في بيروت وقدمه وعمل على إعادة طباعة أعماله الشعرية كذلك الخولي وحسن التلمساني ورفاقهم.[1]

بدأ نشر قصائدهم التحريرية عام 1944م بصحيفة الإتحاد والحرية مع شاعر فلسطين المرحوم عبد الكريم (أبو سلمى) نشر في الحرية اليا فاوته أول قصائده عام 1946م.

انخرط في العمل الوطني والديمقراطي مبكرا، مما أدى إلى اعتقاله من قبل النظام الناصري "الوطني" لأكثر من مرة، ومع ذلك ظل معين بسيسو يحترم المرحلة الناصرية.

من حيث أن الحكم الناصري كان في العمق معاد للإستعمار ... رغم التنكيل ذلك النظام بالتقدميين والشيوعيين ولم تشكل مسألة السجن في عهد الرئيس عبد الناصر عقدة سلبية لدية، بل كان من الوفاء لعبد الناصر، بحيث رثاه، وعرف أن ما يجمع بين التقدميين أكثر مما يفرقهم، حتى لو كانت هناك حالات احتكاك خشنة كالسجن والإعتقال فمن

[1]. معين بسيسو حياته، شعره، مسرحه، بسام علي أبو بشير، دار الثقافة العلمية الإسكندرية، ط1، ص17.

المعروف أن معين كان عضو في الحزب الشيوعي، وكان الحزب الشيوعي محظورا في عهد عبد الناصر ولكن ذا لم يمنع الوعي المتقدم لدى معين بسيسو من الإنتباه إلى أن عبد الناصر زعيم وطني، لذلك فإن بوصلته لم تحظى أبدا.[1]

عمل في الصحافة ثم مدرسا في العراق عام 1952، وقد أخرج من العراق عام 1953 بسبب بعض النشاط السياسي في عهد نوري السعيد، حيث كن على صلة وثيقة مع الحركة الوطنية، وقيادة الحركة التقدمية، في تلك الأثناء عاد معين بسيسو من العراق إلى قطاع، ليصبح شخصية مركزية الجديدة في حياة الحركة الشيوعية وعلى مدى سنوات طوال كان معين بسيسو شيوعيا وعضوا في الحزب الشيوعيى العراقي، وصل إلى أن أصبح أمينا عاما للحزب الشيوعي الفلسطيني في قطاع غزة وفي عام 1988م عندما توحد لشيوعيون الفلسطينيون في حزبهم الموحد، أعلن بسيسو ذلك على منبر المجلس الوطني الفلسطيني الذي عقد بالجزائر حينها، وظل معين بسيسو عضو اللجنة المركزية للحزب حتى وفاته، لكنه كان أقرب إلى حركة فتح رغم أنه من منبث يساري ومن الحزب الشيوعي تحديدا، ولكنه كان أكثر صداقة مع أعضاء الحركة وقيادتها وكل من فيها، وقد تمتع بقدرة فائقة على مخاطبة الجماهير وإلهاب حماسها، فكانت الجماهير تردد وتحفظ أقواله:

من لم تودع بنيها بابتسامتها
إلى الزنازين لم تحبل ولم تلد
وتحفظ عن ظهر قلب
أنا إن سقطت فخد مكاني يا رفيقي في الكفاح
واحمل سلاحي لا يخفيك دمي يسيل من السلاح

كذلك فقط تمتع بقدرة خارقة على الإبداع الشعري فلنتفكر في هذا النص الذي يكشف الرؤية المعمقة عند الشاعر معين بسيسو صاحب التجربة النضالية المثيرة والتجربة الشعرية المتمكنة من أدواتها ومبناها وتراكيبها.

إستشهد الماء ولم يزل يقاتل الندى

[1]. أنظر: سؤال الهوية الفلسطينية الأدب والأديب، عادل الأسطة، دار مؤسسة فلسطينية، الطبعة 1، جزء 1، ص 32.

استشهد الصوت ولم يزل يقاتل الصدى
وأنت بين الماء والندى
وأنت بين الصوت والصدى
فراشة تطير حتى المدى ...[1]

وقاد معين الشيوعيين في مرحلة من أهم مراحل النضال الوطني في تاريخ قطاع غزة وهي المرحلة التي تم فيها إفشال "مشروع التوطين في سيناء" الذي أدى إلى مظاهرات 28 فبراير 1955، كان من الشعراء الذين يسيرون في مقدمة المظاهرات، فبرهن على مصداقية القول الشعري المقترن بالفعل ومارس دور الشاعر التنويري الثوري المضحي.

سجن في المعتقلات المصرية بين فترتين: الأولى من 1955م إلى 1957 والثانية من 1959م إلى 1963م فقد أدخل السجن الحربي في القاهرة ووقع العدوان الثلاثي على مصر وهو لا يزال في الزنزانة، بعد خروجه ظل في مصر يناضل ضمن الحركة الوطنية التقدمية، ثم يعود إلى غزة ليتابع النضال مع الجماهير، ويواصل بناء الكوادر الثورية ثم يعاد إلى سجن الواحات في مصر ليبقى هناك أربع سنوات كاملة.

ومن هذا السجن يبعث معين بسيسو بقصيدة إلى الشقيقة الوحيدة سهير فيقول:

يا سهر
أنا في المنفى أغني للقطار
وأغني للمحطة
أي هزة
حينما تومض في عيني غزة
حينما تلمع لأصواب الرفاف

عاش مطاردا في المنافي، متنقلا بين المطارات والعواصم العربية والأجنبية، مواصلا المقاومة والإبداع الشعري والأدبي ..... وخلال حصار بيروت كان يكتب

[1]. أنظر: مجلة كرمل، إعداد محمد عادل عبد الرشيد، يونيو 2009، 11:30 .. . العدد ثمانية وعشرون
http://www.alkarmel.org/prenumleri/html

المقالات اليومية لنشرة السورية 1967م - 1969م إضافة إلى كتابته للبرامج المتنوعة للإذاعة السورية في عام 1968م وفي عام 1969 سافر إلى مصر ليعمل في جريدة الأهرام إضافة إلى كتابته للمسرحيات، وفي عام 1972 عاد إلى بيروت ليعمل في إطار الإعلام الموحد المنظمة التحرير الفلسطينية ثم استقر في تونس حتى وفاته، كان عضوا في الأمانة العامة للإتحاد العام للكتاب والصحفيين الفلسطينيين كما كان عضوا في الأمانة العام للإتحاد كتاب آسيا وإفريقيا.[1]

ترجم أدبه إلى الكثير من اللغات وحصل على العديد من الجوائز العالمية منها:

- جائزة اللوتس ... وقد شغل رئيس تحرير مجلة اللوتس التي يصدرها إتحاد كتاب آسيا وإفريقيا.
- وسام "درع الثورة" وهو أعلى وسام فلسطيني، كان مسؤولا للشؤون الثقافية في الأمانة العامة للإتحاد العام للكتاب والصحفيين الفلسطينيين.[2]

وفاته:

توفي أثناء تواجده في أحد فنادق لندن يوم 1984/01/24 شابا وعمره السابعة والخمسين إثر نوبة قلبية حادة ودفن في القاهرة بعدما منعت السلطات الإسرائيلية دفنه في غزة، فالإحتلال يخشى أن يتحول قبره مزارا يتجدد عنده نداءات الحرية والمقاومة، فمعين لن يصمت بعد الموت هو ورفاقه فرسان الحزب والوطن فهم أحياء بشعرهم الذي تناقلته الأفواه وترددده الخناجر وتختزنه الذاكرة.[3]

أعمال الشاعر معين بسيسو:

1. أعماله الشعرية:

- المسافر (1952م).

---

[1]. أنظر: يوسف أيوب حداد، "مجلة كنعان"، العدد 115، مركز إحياء التراث العربي الفلسطيني، 2003م.

[2]. أنظر سليمان أبو ستة "نكبة فلسطين، مجلة العربي، العدد 498، أكتوبر 2000م، المجلد الثاني والثلاثون.

[3]. معين بسيسو ... والوطن الدامي ممزق، بقلم شامخ بدرة، موقع: مؤسسة فلسطين للثقافة، تاريخ النشر: 28/01/2009، 11:08.

- المعركة: أول دواوينه الشعرية، دار الفن الحديث، القاهرة، 1952م.
- الأردن على الصليب (دار الفكر العربي، القاهرة، 1958م).
- قصائد مصيرية، بالإشتراك (دار الأدب، بيروت، 1960م).
- فلسطين في قلب (دار الآداب، بيروت، 1960م).
- مارد من سنابل (دار الكتاب العربي، القاهرة، 1967م).
- الأشجار تموت واقفة، شعر (دار الآداب، بيروت، 1964م).
- كراسة فلسطين (دار العودة، بيروت، 1966م).
- قصائد على زجاج النوافد (1970م).
- جئت لأدعوك باسمك (وزارة الإعلام، بغداد، 1971م).
- الآن خدي جسدي كيسا من الرمل (فلسطين، بيروت، 1976م).
- القصيدة، قصيدة طويلة (دار ابن رشد، تونس، 1983م).[1]
- العمال الشعرية الكاملة، مجلد واحد (دار العودة، بيوت، 1979م).
- آخر قراصنة العصافير.
- حينما تمطر المطار.
- القتلى والمقاتلون والسكارى، العراق (1979م).[2]

2. أعماله النثرية:

- مات الجبل (1976م).
- نماذج من الرواية الإسرائيلية المعاصرة (القاهرة 1970م).

[1]. معين بسيسو حياته، شعره، مسرحهن بسام علي أبو بشير، دار الثقافة العلمية، الإسكندرية، ط1، 1999، ص43.

[2]. ديوان معين بسيسو، الأعمال الشعرية كاملة، معين بسيسو2008، ص95.

- باجس أبو عطوان، قصة (فلسطين الثورة، بيروت، 1974م).
- دفاعا عن البطل (دار العودة، بيروت، 1975م).
- البلد وزر، مقالات (مؤسسة الدراسات، 1975م).
- دفاتر فلسطينية، مذكرات (بيروت، 1978م).
- كتاب الأرض، رحلات (دار العودة، بيروت، 1979م).
- أدب الفقر بالمضلات (القاهرة، 1972م).
- الإتحاد السوفياتي لي (موسكو، 1983).
- 88 يوما خلف متاريس بيروت (بيروت، 1985م).
- عودة القصة، قصة.
- وطن في القلب، شعر مترجم إلى الروسية - مختارات موسكو.
- يوميات غزة، غزة مقاومة دائمة (القاهرة 1971م).

3. أعمال شعرية درامية للتلفزيون:

- محاكمة ابن المقفع في 7 ساعات من إخراج صلاج أبو هنود.
- رسائل إلى العالم في 12 ساعة من إخراج صلاح أبو هنود.

4. أعماله المسرحية:

- مأساة جيفارا (دار الهلال، القاهرة، 1969م).
- ثورة الزنج (1970م).
- شمشون ودليلة (1970م).[1]

4 مشاركته في الصحافة العربية:

[1]. معين بسيسو: حياته، شعره، مسرحه، بسام علي لأبو بشير، ص 44-45-46.

أ. كتب في العديد من الجرائد والمجلات العربية:

- في جريدة الثورة السورية تحت عنوان من شوارع العالم.
- في جريدة فلسطين الثورة تحت عنوان نحن من عالم واحد.

ب. كتب مقالات عديدة:

- في مجلة الديار اللبنانية.[1]
- في مجلة الأسبوع العربي اللبنانية.
- في مجلة الميدان الليبية.

كان أبرز رواد المسرح الفلسطيني، شارك في تحرير جريدة المعركة التي كانت تصدر في بيروت زمن الحصار مع مجموعة كبيرة من الشعراء والكتاب العرب.

ترجم أدبه إلى اللغات الإنجليزية والفرنسية والألمانية والروسية ولغات الجمهوريات السوفياتية، أذربيجان، أوزبكية، والإيطالية والإسبانية واليابانية والفيتنامية والفارسية.

حصل على جائزة اللوتس العالمية وكان نائب رئيس تحرير مجلة "اللوتس" التي يصدرها إتحاد كتاب آسيا و إفريقيا.

حصل على أعلى وسام فلسطيني (درع الثورة) وكان مسؤولا للشؤون الثقافية في الأمانة العامة للإتحاد العام للكتاب والصحفيين الفلسطينيين وكان عضو المجلس الوطني الفلسطيني.[2]

الخطابية والمباشرة في شعر بسيسو:

كان معين بسيسو يكتب للجمهور وأمام الجمهور مرتجلا مهيجا وتهييجا وتحريضا خطابيا، في القصائد الذي تبدأ بـ "يأفي" أو توجيه فعل أمر، أو زرع "لا" الناهية.

لقد تميز شعر معين بالتدرج من اللحظة الخطابية إلى السريالية الشعبية إذا جاز التعبير، فمعروف أن السريالية تعطي الفنان أو المبدع فرصة في الإيغال والتعبير بعيدا عن الذوق السائد، لكنه استطاع داما أن يوجد مفاتيح للجمهور العادي بحيث يلج من خلال هذه

[1]. نفس مصدر، ص 46-47.

[2]. حكمت ياسين "الغزو الفلسطيني"، مجلة الثقافة، العدد 28 أكتوبر 1975.

المفاتيح إلى عالم القصيدة، لذلك لم تكن هناك شكوى أو غموض قصائد معين حتى في المرحلة السيريالية.[1]

ومعين في تدرجه بالشعر من شعر التفعيلية إلى الخطابي إلى الرمزي المفتوح إلى الاستفادة من لغة المسرح والاستفادة من لغة التراث، فقد جمع كل هذا في ختام العمر في قصيدته المطولة التي تستطيع أن تقف فيها على كل ما مر به من تجارب، فوفق بهذا الإسم "القصيدة" على طريقة العرب ، كأنه يقول هذا بيت القصيد فإنه وضع فيها خلاصة جهوده الفنية إضافة إلى السياسة.

يبدأ "القصيدة' بـ سفر ... سفر ولو اكتفى بذلك لما كان قليلا، فالشعر الإجباري هوية الفلسطيني والقصيدة تعج بالمداخلات الفنية التي تحتاج دراسة مستفيضة.[2]

لكن معين بسيسو يفتح مجموعته العرية "الأشجار تموت واقفة بهذا الشجن الجديد، حيث لا خطابه ولا أجراس ولا جلجلة رعود، يظهر من عناون المجموعة: كإله من غير يدين / تتبعي يا وطني وغراب البين / تقبح قدامي / ويصيح إلى أين / يا طلب رأس القيصر / يا حافي القدمين.[3]

فمسات شعر بسيسو البارزة خطاب الجماهير، فهو يعدها في الموتى إن لم تناضل، فيجب أن تبعث فيها الحياة، وهو أمر لاحظناه في قصيدته في قوله: "يأيها الموتى أفيقوا" يطالب الشعب أن ينتبه إلى عمره وأيامه مع أنه شعب طيب كريم، ولكن هذه الطيبة لا تدفع عنه الجوع والمظالم:

أيها الشعب أيها الميت الحي بأرض منها القبور تفر
هكذا تصنع النعوش لكن ترقد فيها وأنت شعب زهر
خالد العطر مثقل بندى الفجر ولكن لا يطرد الجوع عطر
هكذا قدروك ميتا على الأرض وأيمهم لشمسك قبر
يصنعون السنين من عمرك النصر ويلفونها ومالك وعمر[4]

[1]. ديوان معين بسيسو، العمال الشعرية الكاملة، ص 42.

[2]. معين بسيسو، القبلة والسنبلة، كتاب لوتس، عكا دار الأسوار، ص 49.

[3]. معين بسيسو، الأشجار تموت واقفة، شعر، بيروت، دارالآداب، 1964، ص93.

[4]. معين بسيسو، الأعمال الشعرية الكاملة، ص 47-48.

المعجم الشعري عند الشاعر معين بسيسو:

لكل شاعر أو أديب، قاموسه الإبداعي الخاص بحسب الدراسات النقدير المتخصصة، التي تؤكد أن ذلك القاموس بمثابة "روح النص" الإبداعي فالأسلوب هو الكاتب، والمعجم الشعري هو الشاعر ولكن ليس كل منا يهتدي، فالأمر يحتاج إلى معرفة وتدبر.

والمعجم الشعري تجد في تضاعيفه الألفاظ واختيارها، وتجد الإنتقال وتراسله، كما تجد طريقة الإيقاع الموسيقي أو الدلالي، أو النزول في المعنى بمعنى طرح العبارة من دون سياق وتقديم.[1]

يمثل المعجم الشعري للشاعر معين بسيسو منبعه اللغوي الذي ينتقي منه ما يريد من الألفاظ والمفردات، يخلق منها عالمه الشعري "القصيدة" التي تعد من مكونات الخطاب الشعري، فالحقل الدلالي هو قطاع كامل من اللغوية يعبر بها عن مجال معين من الحيز، فهذه الألفاظ ينتقيها الشاعر لتصبح ألوانه وريشته اللغوية.

قراءة معجم الشاعر لمعين بسيسو مرتبطة بحالته النفسية والإجتماعية والثقافية، يتشكل ضمن هذا الأفق الذي يصوغ من منظومة من المفردات التي ترسم بصمته الإبداعية في أي نص كتبه، وهي علامة مميزة يخلق من خلالها عوالمه وصوره وآراؤه.

فالمعجم الشعري للشاعر عي بسيسو لا يقتصر على المفردة وتكرارها بل يتجاوز ذلك إلى الصورة والرؤيا والمعنى والفكرة العامة لنصه فالذات الشاعر معين بسيسو هي المولدة على تشكيل المعجم الشعري الخاص به.[2]

إن أدب معين بسيسو هو أدب يخلق الواقع وليس تابعا له فينطبق عليه تعريف الأدب الثوري، أدبه أدب ثوري وتحريضي.

إن الأدب أصبح تابعا للواقع وليس خالقا له، ففي الستينات والسبعينات كنا نقرأ تأمليا فكريا وثوريا تعبويا، أما الآن فنحن نقرأ إلا حالة ضبابية وإن وجدت نصوص جيدة فهي إما مغيبة أو أصحابها مغيبون عن المشهد " حسب ما يقول نادي ساري الديك.

---

[1]. أنظر: عباس إحسان، فن الشعرن دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان – الأردن، ط4، 1987، ص 84.

[2]. أنظر" مورية شموئيل، حركات التجديد في موسيقى الشعر العربي الحديث، ترجمة وتقديم سعد مصلوح، دار النشر العربي، تل أبيب، ط2، 1970، ص 26.

ومن المفروض أن لا يكون الدب انعكاسا للواقع، ولكن خالقا ومفعلا له، وإذا كان الأدب حالة من تبعات الواقع فهذا انكسار للأدب وليس أدبا ... ما أضافه أيضا نادي ساري الديك.[1]

الشعر عند معين هو دعم لوجيستس، كالدخيرة كالتموين، به يصمد المحاربون، فالروح بحاجة للغذاء به تتقوى وتنتصر.

يقول الناقد السوري "محي الدين صبحي" : إن شعر معين ينطبق عليه مصطلح الشعر الخشن الذي ورد في كتاب الشعر لأرسطو وهذا ما جعل الكتابة عنه صعبة رغم سهولة وبساطة هذا الشعر.[2]

الرصاص والبنادق والخيام هي ألفاظ كثيرة الورود وتتكرر في شعر بسيسو كذلك المقاومة ولا مساومة والشعب المكافح والمناضل واليد المكبلة والسجن والسجان والأبطال والمعارك والموت والدماء والعدو.[3]

لكنه في السبعينات لجأ إلى استخدام أدوات العصر اليومية ودسها في جسم القصيدة: الأسطوانة، السينما السيارات والطائرات والسياحة وغيرها واستفحلت علاقته بالميثولوجيا، والقمر، ألف ليلة وليلة، السياف المسرور، وارتفعت لديه وثيرة الهجاء والسخرية.

نجد الشعر لدى معين بسيسو وسيلة من وسائل النضال، فكانت أعماله الشعرية من الأسس التي أرسيت

عليها أمدة الشعر المقاوم.

لقد ساهم في بناء المشهد الثقافي الفلسطيني بفعالية وتنوع حيث أنه قدم ثلاثة عشر ديوانا شعريا منها ديوان "مارد من السنابل" ، "قصائد على زجاج النوافد"، "المسافر"،

---

[1]. الديك، نادي الساري، ما قالته غزة للبحر، دراسة نقدية في تجربة معين بسيسو الشعرية، رام الله، وزارة الثقافة الفلسطينية، ص 998.

[2]. أبو شاور رشاد، الشاعر معين بسيسو (مقال، موقع اللغة العربية)، 2007، قاراءات في الأدب الفلسطيني.

[3]. معين بسيسو، بين السنبلة والقنبلة، كتاب لوتس، عكا دار الأسوار، 1988، ص 44-45.

"المعركة"، "حينما تمطر الأمطار" "الأردن على الصليب"، "فلسطين في القلب"، "الأشجار تموت واقفة"، "جئت لأدعوك باسمك".[1]

قد يقال بأن هذا الشعر فيه مباشرة، وتحريض آني، والحق تلك المباشرة حملتها مواهب أصيلة ذكية، عرفت كيف تعوض في عمق الحدث، وتستخرج منه قيما إنسانية جوهرية لا تموت مع الزمن، ما كان صدفة أن عنوان أحد بواكير أعمال معين بسيسو هو "المعركة"، فشعراء فلسطين قديما وحديثا يعيشون في المعركة، وفي نيرانها يكتبون، وهم يكتبون عن الوطن والشهادة والبطولة والتضحية والحب والمنفى، والعودة التي ستتحقق وهم يتأملون في مصائر البشر والحياة والكون، فهم لا يغلقون على أنفسهم، وما هو غريب أن الفلسطينيين كانوا في مقدمة من ترجم عن الغرب روائع أدبية وفلسفية ....[2]

معين بسيسو شاعر معركة واشتباك، يحيا ويتألق ويجول في الميدان، بين الناس في أتون المعركة ... من عرفه في عزهرآه شاعرا ومناضلا في الميدان يتقدم جموع الفلسطينيين الرافضين للتوطين في صحراء سيناء، والمطالبين بالتسلح لصد اعتداءات المحتلين، وكانت آنذاك قطاع غزة، إنه صوت معين بسيسو الذي يتحدى قوات العدوان الثلاثي عام 1956.

قد أقبلوا فلا مساومة المجد للمقاومة.[3]

3. توظيف الشخصيات التاريخية في شعر معين بسيسو:

يعد التاريخ منبعا ثريا من منابع الإلهام الشعري، الذي يعكس الشاعر من خلال الارتداد إليه روح العصر، ويعيد بناء الماضي وفق رؤية إنسانية معاصرة، تكشف عن هموم الإنسان ومعاناته وطموحاته وأحلامه، وهذا يعني أن الماضي يعيش في الحاضر ويرتبط معه بعلاقة جدلية تعتمد على التأثير والتأثر تجعل النص الشعري ذا قيمة توثيقية

[1]. الديك، نادي الساري، ما قالته غزة للبحر، دراسة نقدية في تجربة معين بسيسو الشعرية، رام الله، وزارة الثقافة الفلسطينية، ص 999.

[2]. أبو شاور رشاد، الشاعر معين بسيسو (مقال، موقع اللغة العربية)، 2007، قراءات في الأدب الفلسطيني.

[3]. نفس المرجع.

يكتسب بحضورها دليلا محكما وبرهانا مفحما على كبرياء الأمة التليد وحاضرها المجيد، أو حالات انكسارها الحضاري ومدى انعكاسها على الواقع المعاصر.[1]

وبمعنى آخر يستلهم الشاعر أوج التشابه بين الماضي والحاضر، ووقائع العصر وظروفه إن سلبا أو إيجابا، وهو في كل هذا يطلق العنان لخياله لكي يكشف عن صدى صوت الجماعة، وصدى نفسه في ‘طار الحقيقة التاريخية العامة التي يبحث عنها، أو الموضوعات التاريخية الكبرى، التي تشكل حضورا بارزا في تاريخ الأمة دون الخوض في جزئيات صغيرة.[2]

أبو ذر الغفاري (الرمز الإشتراكي) في شعر معين بسيسو، يوظف معين في قصيدته "من أرواق أبي ذر" شخصية أبي ذر الغفاري، وتظهر ملامح الرمزية فيها[3] يقول في أحد مفاصلها.

فمي / نفيت متين ... مرة هنا / ومرة هناك ... في الحديقة المعلقة.

يسجل أبو ذر الغفاري هذه الكلمات على وراقه بعد بعثه من جديد ليصور لنا قصة مع الواقع المعيشي، ويرفع صوته عاليا في وجه الظلم السياسي والإجتماعي والإقتصادي، وقد أدى ذلك إلى نفيه مرتين، مرة في الحياة الدنيا زمن "معاوية"، ومرة في الحياة الآخرة "الجنة" بعد ضجره وسأمه من صحبه "الملائكة" الطاهرين الأنقياء وكأنه كتب على نفسه دائما وفي كل مكان يحل فيه أن يصلح العيوب والمفاسد الإنسانية، فإذا كان المجتمع مجتمعا "ملائكيا" بلا عيوب مله وتركه، بحثا عن غيره ليجد فيه ضالته، غن الثورة التصحيحية التي يبتغيها جعلته يعود مرة أخرى ليعلن على الملأ أنه مازال بقية من الكلام في فمه "وأنه سيلقى بصورة عملية" سيلقي شعرة معاوية في غازل العناكب وهو في مسعاه هذا يصحح علاقته بالثورة بعد فشله من قبل في هداية "معاوية" إلى جادة الصواب.[4]

لا ريب أن التمثال الدلالي بين حياة أب ذر وحياة الإنسان الفلسطيني المعاصر، ينتج دلالات جديدة منها الثورة والسير وحيد والموت وحيدا، والنفي مرتين ورفض البذخ

[1]. إحسان عباس، اتجاهات في الشعر العربي المعاصر، طبعة2، دار منشورات شمس، ص120.

[2]. هرنشو، علم التاريخ، ترجمة عبد الحميد العبادي، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، مصر 1973، ص3-4.

[3]. حن زاهر الجوهر، الشعر الفلسطيني في الأرض المحتلة (1990 – 2000)، دار منشورات شمس، ط2، ص 25-26.

[4]. نفس المرجع، ص 26-27-28.

والترف، واكتناز الذهب والفضة، بإضافة إلى القمع السياسي زمن "معاوية" مقابل الإحتلال الصهيوني زمن التخادل العربي.[1]

وهذا كله جعل من شخصية "أبي ذر" رمزا إنسانيا بدأ يرفضه لموقف "عثمان بن عفان" من أموال الغنائم، إلى اضطهاده ثم موته منفيا، لهذا يستثمر الشاعر هذه الأبعاد ليعقد صلة بينه وبين الإنسان الفلسطيني، ويطلق صرخة غحتجاج في وجه الأنظمة العربية المعاصرة التي تعيش حياة ترف وبذخ.

ولهذا أعتقد أن د.خالد الكركي لم يصب عن الحقيقة عندما قال: 'والإسقاط على التاريخ العربي واضح، وإن كان لا يتحول إلى إسقاط على الواقع الحالي المباشر، فالنص صورة فنية لأبي ذر الغفاري الغاضب ومثل هذه النزعة الإحتجاجية الغاضبة تحد من إعادة بناء الشخصية التاريخية دراميا.[2]

إن القصيدة تتجاوز الإطار التاريخي، وتعقد مشابهة موحية بين أب ذر من جهة والإنسان الفلسطيني المشرد والمنفي من جهة أخرى، كما أنها تتخذ موقفا تاريخيا من الأمراء وغيرهم الذين يكتنزون الذهب والفضة في عصر أبي ذر وعصرنا الذي نعيش فيه، ولقد عني بسيسو بالشخصيات التاريخية ووظفها بما يملأ تجربته الشعرية، فاستقى من التاريخ الشخصيات التي تعتبر نموذجا للظلم والشخصيات التي تعتبر نموذجا للثورة، ووضع كل شخصية في الإطار الملائم لها حسب موضوع القصيدة.[3]

ففي قصيدة (قصيدة فلسطينية إلى لينين) يستقي الشاعر شخصية غير عربية هي شخصية قائد الثورة البلشفية الذي واجه الظلم والإستبداد وساعد شعبه على الثور والنهوض في وجه الظالمين يقول الشاعر:

---

[1]. ملامح التراث في شعر معيب بسيسو، الجامعة الأردنية، كلية الأدب، قسم اللغة العربية، إعداد الطالب حسن عطية، 1993، درجة ماستر، الأردن.

[2]. خالد الكركي، الموز التراثية العربية في الشعر الحديث، بيروت، دار الجيل، 1989م، ص206.

[3]. أنظر، رؤية نقدية في أعمال شعر معين بسيسو المسرحية، نعمان عبد الله، بعنون: لم تسقط من يده الجمرة، إتحاد الأدباء والكتاب الفلسطينيين، 1988.

كان لينين فكان الحزب / يا فارس البحر على الصخرة / كان لينين وكانت فوق أصابعه / تتجمع كل أوراق الأشجار السرية والعلنية / يا أول بحار / يا أول قبطان / يا أول من دق الموجة مسمارا ...

اعتبر معين لينين قوة له ونموذجا من نماذج الثورة على أصحاب اظلم والقهر والإضطهاد فهو أول مفجر للثورة وهو أول بحار وأول قبطان سار العالم أجمع من خلفه يردد لا للظلم، لذلك يفخر الشاعر باسمه متمنيا أن يكون من بين الحكام العرب أحد كلينين ليقود العرب أجمع لمواجهة الظلم الصهيوني.

كما وصف الشاعر بسيسو شخصية عنترة التي لها وجودها التاريخي واكنها اكتسبت صفة الأسطورة وتناقلت من جيل إلى جيل وأصبحت نموذجا للقوة والشجاعة حيث يقول:

وكبرت
عاما بعد الآخر وعرفت
أنهم سموني "عنترة العبسي"
وأول من اعترض عليه هو اسمي[1]

كما وظف معين بسيسو شخصيات الإسلامية وخاصة صحابة الرسول صلى الله عليه وسلم في مواضع متفرقة من ديوانه كعبد الله بن المقفع وعمار بن ياسر

ففي قصيدة "أحلام عبد الله بن المقفع" يستحضر الشاعر تلك الشخصية الإسلامية التي تعد نموذجا من نماذج الإيمان والطهارة والعلم يقول الشاعر:

وشيت بقتلتي / وكنت شاهدا / علي في بلاط دبشلم / وكنت صاحبي القديم / سقطت من مخالب العنقاء يا حورية الجحيم سقطت في سريرك الصغير / والخمر في جرار بيديا ...[2]

إن عنوان القصيدة ينقلنا إلى شخصية إسلامية وهي عبد الله بن المقفع العالم الجليل لاقى ويلات التعذيب والنفي بسبب رفضه للظلم السائد في الدولة العباسية، فقد اتهم بالزندقة

[1]. آفاق الرؤية الشعرية (دراسات في أنوع التناص في شعر فلسطين معاصرا، د. إبراهيمنصر موسى، ط1، وزارة الثقافة، الهيئة العامة للكتاب، 2005، ص84.

[2]. التراث الشعبي الفلسطيني، ملامح وأبعاد، د. خليل إبراهيم حسونة، مكتبة اليازجي، غزة 2002، ص23.

نتيجة ما يقوم به، كذلك الحال بالنسبة لمعين بسيسو الذي عانى في المنفى بسبب أشعاره وأقواله، واتهم ب بالكفر بسبب التحاقه بالحزب الشيوعي الرافض للظلم، لذلك تعتبر هذه القصيدة نموذج من نماذج شخصية القناع حيث لبس الشاعر قناع عبد الله بن المقفع واختفى ورائها ليقول للقهر لا مستفيدا من اصطلاح وعلم عبد الله بن المقفع.[1]

معين بسيسو شاعر المقاومة الوحدة الوطنية:

معين بسيسو شاعر المقاومة لأن المقاومة تشكل الجوهر الشامل لشعره الذي قرر صاحبه منذ البداية أن يكون شاعر مقاومة على المستويين القومي والإجتماعي، وهكذا جاءت ثورته أشما من ثورة زملائه في الوطن المحتل وأعمق وأغنى من ثورة زملائه في المنفى، إن مصر الذي قضى فيها معين زهرة شبابه لم تكن له وطنا ثانيا، بل جزءا لا ينفصل عن الوطن الواحد الكبير.[2]

وقد صدر معين بسيسو في نصوصه، عن الإيديولوجية الشيوعية وكان عضوا في الحزب الشيويع الفلسطيني وواحد من مؤسسيه.

إن القضية الأساسية في شعر معين قضية الوطن الدامي الممزق، قضية الشعب الفلسطيني، فهو واحد من الشعراء الذين حملوا دمهم على راحتهم، ومضوا في مقدمة الصفوف بمصداقية القول المقترن بالفعل، كان معين يتقدم جموع الفلسطينيين في قطاع غزة الرافضين للتوطين في صحراء سيناء، والمطالبين بالتسلح للتصدي لاعتداءات الإحتلال الإسرائيلي، فهو صاحب الكلمة الشجاعة في وجه الظلم والجور والطغاة.[3]

كتب بسيسو نصوصا أتى فيها وصف حياة اللاجئين وما ألم به، ولكنه في الوقت نفسه عبر بوضوح عن ثنائية المستغل والمستغل، ووقف إلى جانب الأولين وتعاطف معهم يجمع معين بسيسو ما بين أولئك الأدباء الذين كتبوا عن المنفى والوطن الماضي والحاضر أولئك الذين كتبوا عن المستغل والمستغل أساس، لقد كان معين فلسطينيا وأمميا بالدرجة نفسها وبالمقدار نفسه أيضا، حارب من أجل عودة اللاجئين إلى بلادهم، وغنى من اجل مجتمع شيوعي وظل وفيا حتى مماته، لحق الفلسطينيين ببلادهم والشيوعية، وقد انعكست

[1]. آفاق الرؤية الشعرية (دراسات في أنواع التناص في شعر فلسطين المعاصر)، د. إبراهيم نصر موسى، ص 84-85.

[2]. أنظر: شر الحقيقة، دراسة في نتاج معين بسيسو، بيروت، دار الطليعة، محي الدين صبحي، ط1، 1982، ص 56.

[3]. دفاتر فلسطينية، معين بسيسو، دار صلاح الدين، منشورات شمس، 1978، ص44.

فلسطينيته وأمميته في أشعاره انعكاسا متوازيا، وتعتبر دواوينه خير شاهد على هذا سواء تلك التي كتبت قبل عام 1967، أو تلك التي كتبت بعده، وإن برز الحس الفلسطيني في ديوان "الآن خذي جسدي كيسا من الرمل" (1976) بروزا واضحا.

أرسمي من دمي ومن أصفادي / يا أيادي خريطة لبلادي / الضحايا قد عانقها الضحايا / والأيادي تشابكت بالأيادي / فنهوضا إلى النضال نهوضا / لا يعيش البركان تحت الرماد ...[1]

ظل معين شيوعيا حتى رحيله ولم يكن متعصبا فهو كتب شعرا جميلا عن جمال عبد الناصر رغم أنه سجن في مصر مع آلاف الشيوعيين ... رغم أنه على النقيض مع الإخوان المسلمين، سار وشيوعيو غزة والقوميين، كتفا لكتف معان يتقدمون الجماهير رافضين التوطين مطالبين بالسلاح للمقاومة.[2]

في مذكراته "دفاتر فلسطينية" يسرد معين ملامح تلك المرحلة في منتصف الخمسينات ويقدم رموز (الإخوان المسلمين) بكل احترام وإنصاف، رغم الخلاف الفكري، معتزا بروح الوطنية لقد حافظ شاعرنا الكبير على صلاته الحميمية، مع كل مناضلي تلك المرحلة حتى أيامه الأخيرة.

اليوم نحن نستعيد ذكراه ونقرأ شعره، ونحن نرى ما يحدث في وطننا فلسطين بكل فخر، ما جاءت به الإنتخابات الفلسطينية التشريعية، نجدنا مدعوين لصيانة روح الوطنية التي ميزت معين ومنحته إضافة لقيمته الشعرية احتراما وطنيا ودورا قيما.

هذا هو دوره وذا هو شعره:

في آخر مقابلة أجراها معه تلفزيون الإمارت العربية المتحدة، المديع أحمد زين العابدين، قال معين: الدور الذي يجب أن ينهض به الشعر العربي الآن هو أن يقف مع الإنسان العربي مع الأمة العربية، يقف مع كل صديق لهذه الأمة، في سبيل نهوضها، وفي هذه المرحلة على الكلمة أن تكون صادقة، شجاعة و صريحة.

---

[1]. أنظر: دفاتر فلسطينية، معين بسيسو، ص45.

[2]. أنظر جماليات القصيدة الفلسطينية، ماهر اليوسفي، ص19.

معين يفهم الحداثة كما يلي: أنا حينما أقرأ بعض القصائد أحس أنني أقرأ باللغة الهيروغليفية، بعض الشعراء اعتقدوا أنهم حينما يتنكرون للتراث، للتقاليد الشعرية العظيمة يصبحون شعراء معاصرين.

وبطريقته التهكمية يسخر ممن يدعون أنهم يكتبون لأنفسهم: حسنا أذا أردت أن تكتب لنفسك، أن تكتب شيئا لا يفهمه الناس ولا يتفاعلون معه فاكتب على المرأة وانظر، فتجد قصيدتك، وترى أيضا وجهك وهذا يكفي لتحقيق طموحك .... معين بسيسو من الأوائل من كتبوا القصيدة الحديثة، قصيدة التفعيلة، وهو كونه شاعرا جماهيريا لا يغيب عن بالع سؤال الشعر العظيم.[1]

قرأت مرة للناقد السوري الصديق الراحل مجي الدين صبحي أن شعر معين ينطبق عليه مصطلح الشعر الخشن الذي ورد في كتاب (الشعر) لأرسطو وهذا ما جعل الكتابة عنه صعبة رغم سهولة وبساطة هذا الشعر.

من جهة أخرى شعر معين شعر عظيم لا يحتاج لفك الطلاسيم، ورسم المثلثات والمكعبات وتقويله ما لم يقله.

معين يا صوت الضحايا:

المجد لمقاومة الإنسان العربي في فلسطين في سوريا، المجد لمقاومة الإنسانية تتحدى ظلم أمريكا وعدوانيتها وحليفتها الصهيونية، المجد للشعر، للكتابة تنحاز للإنسان، للعدل والكرامة الإنسانية للحب بكل تجلياته.

كان معين معنيا بدور إجتماعي إلى جانب الشعر كان مسؤولا سياسيا يدعوا إلى الوحدة الوطنية بين القوى الفلسطينية في غزة وله قصيدتان مشهورتان وكلتا هما تتعلقان بالأيدي، فكان يخاطب السلفيين الذين يدعوهم للوحدة الوطنية منها: إجبلي من دمي ومن أصفادي يا أيادي خريطة بلادي.

[1]. أنظر: مذكرة تخرج، "القضايا الوطنية والقومية في شعر مفدي زكرياء، سنة 2004-2005، من إعداد فاطمة حساين ويمينة حاج سماحة، جامعة مستغانم، كلية الأدب والفنون، ص 94-95-96.

بينما كان يخاطب التقدميين بشد الأيادي أيضا ولكن بقصة حديثة، كان معنيا بمسألة الجرأة وأن يتغلب الشاعر الثوري أو الفنان الثوري على المعيقات والمخاوف وأن يكون الشخص موازيا للقصيدة الشهيرة من ديوانه (الأشجار تموت واقفة) التي يقول فيها:

الصمت موت / والصمت ليسما يقوله المهرج الصغير للمهرج الكبير / فأنت إن سكت مت / أنت إن نطقت مت / قلها ومت.[1]

التغن بالوطن:

إن القضية الأساسية في شعر معين قضية الوطن الدامي الممزق، قضية الشعب الفلسطيني، فهو من لشعراء الذين حملوا دمهم على راحتهم ومضوا في مقدمة الصفوف بمصداقية القول المقترن بالفعل كان معين يتقدم جموع الفلسطينيين في قطاع غزة الرافضين للتوطين ومطالبين بالتسلح للتصدي لإعتداءات الإحتلال الإسرائيلي فهو صاحب الكلمة الشجاعة في وجه الظلم والجور والطغاة، فأشعار معين بسيسو كتبت بالمدفع الرشاش وليس القلم.[2]

معين بسيسو نجم يسطع في سماء فلسطين وفي فضاء الوطن العربي بفكره وشعره ونثره ومسرحياته، فالوطن عنده ليس قصيدة بل إنه لغة الخلود والحلم، ارتباط معين بسيسو بوطنه هو ارتباط لا يمكن تهميشه، فحبه لوطنه وولائه له تشبه القومية من حيث كونها عاطفة إنسانية تربطه بوطنه.

فالوطن عند أبناء فلسطين لا يعني مساحة جغرافية فقط، لا يمكن حصره في مكان فقط وإنما شغفهم النبيل نحو الحرية والوطن والإنسان.

---

[1]. نفس المرجع، 96-97.

[2]. أنظر القضية الفلسطينية، خلفياتها التاريخية وتطورتها المعاصرة، تأليف محسن محمد صالح، مركز الزيتونة للدراسات والإستشارات، بيروت، لبنان، 2012 - 1433هـ، ص19.

الشاعر معين بسيسو يعيش حالة حب عنيفة لبلده فلسطين محتلة الكون كله وطنه، لكن فلسطين تبقى وجدانه وذاكرته الوطن الأم فلسطين وطنه الذي يحلم بأن يتحرر من العدوان الإسرائيلي.[1]

الوطن في شعر معين سيرة شعب، قصة عشق وغرام قصة، عشق معين، معين لغزة وعشقها إياها ولو تأملنا أعمال معين لوجدنا الوطن قد تسلل إلى شعره: البحر يحكي للنجوم حكاية الوطن السجين / واللّيل كالشحّاذ يطرق بالدموع وبالأنين / أبواب غزة وهي مغلقة على الشعب الحزين / فيحرّك الأحياء ناموا فوق أنقاض السنين / وكأنّهم قبر تدقّ عليه أيدي النابشين ...[2]

ولا يفوتنا في هذا المقام أن نذكر أن المعركة كانت قصيدة معين الأولى التي دعا فيها للمقاومة والكفاح، وكيف لا وهو من شعراء المقاومة، وهكذا يخاطب معين مدينته في إباء:

يا رفيقي في الكفاح مكاني أنا إن سقطت، فخذ مكاني

وأحمل سلاحي، لا يخفك دمي يسيل من السلاح

أنا لم أمت! أنا لم أزل أدعوك من خلف الجراح

وها هو يروي قصة اعتقاله في في قصيدة خالدة إلى يومنا هذا، يتغنى بها المعتقلون في السجون نظمها والقيد في يده عند اعتقاله على يد القوات المصرية:

نعم لن نموت ولكننا سنقتلع الموت من أرضنا...[3]

معين بسيسو صوت دافئ ونموذج متفرد في الحياة الشعرية الفلسطينية كان شاعرا جذل العطاء، متين العبارة، لغته سلسة وصافية وشعره عفوي من "السهل الممتنع" و غزير بالتعابير والألفاظ الشعرية والرموز الفكرية والتاريخية، وهو بحسه المرهف جسد مأساة شعبه وهواجه وكتب قصة الصراع والمعاناة الشاقة، والبحث عن الوطن وهوية وغد أفضل

---

[1]. أنظر: موسوعة الأدب الفلسطيني المعاصر، 1997، تحقيق سلمى الخضراء الجيوسي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، 44 مجلد1، ص49-50.

[2]. معين بسيسو، مارد من السنابل، دار الكتاب العربي، القاهرة، 1967، ص34.

[3]. الأعمال الشعرية الكاملة معين بسيسو، ص 83.

ومستقبل مشرق ومنبر لشعبه وللإنسانية المعذبة جمعاء، ويمكننا القول أن قصائده ترتيلية حزن لحالة الفلسطيني من أجل العودة والعيش بحرية وكرامة.[1]

غزة هي مسقط رأس الشاعر معين بسيسو ومسرح طفولته وقد عانى أهلها من حصار خانق لسنين عدة والشاعر بسيسو ينظر إليها في قصائده بألم ما آل إليه حالها وحال أهلها، يصف الشاعر معين غزة الحسناء التي غرقت في أحزانها ، فأهلها جوع مشردين في الخيام، تعمهم مشاهد من الإهانة والإذلال، فالشاعر أراد أن يقول لهذا الشعب أن يضيع الوقت بالبكاء على وطنه بل أيهب غاضبا ويهدف جدار الخوفن حاجز اليأس، ليقود مسيرة الجياع نحو النصر والتحرير:

هذه هي الحسناء غزة في مأتمها تدور
مابين جوعي في الخيام وعطشي في القبور
ومعذب يقتات من دمه ويعتصر الجذور
صور من الإذلال فاغضب أيها الشعب الأسير
أقرأت أم مازلت بكاء على الأرض المضاع ؟
الخوف كبل ساعديك فرحت تجتنب الصراع[2]

تجربته الإعتقالية في السجون:

لم يكن بسيسو يقاوم قلمه فقط، بل كان يخرج هاتفا في مقدمة المظاهرات، ولا شك أن تأليب الجماهير على حكامها كان سيفضي به إلى المعتقلات، ولكن نبرته الثورية لم تطعن حتى في داخل السجن فهو يهتف بكل شجاعة أنه سيحرق السجن وسيخرج منه وسيخلع ثوب السجين الذي كأنه كفن، ثم يهدم صنع الظالمين الذي يحجز حريته، ولن تعوق الأسلاك الشائكة المرتفعة خروجه من السجن والإنطلاق نحو الحرية، وكذلك لن يخدع بمراوغته وختل المختالين:[3]

أنا المقيد لكني سأنطلق واترك السجن خلفي وهو يحترق ...واخلع الكفن الدامي وقد رشحت خيوطه بدمائي وهي تنبثق....واهدم الصنم المجنون صارخةً...حريتي في يدي

[1]. موسوعة الدب الفلسطيني المعاصر، تحقيق سلمى الحضراء الجيوس، ص 52-53.

[2]. أنظر: معين بسيسو، مارد من السنابل، دار الكتاب العربي، القاهرة، ص47.

[3]. أنظر: السجون وآثارها في الآداب العربية، واضح الصمد، المؤسسة الجامعية، بيروت، 1990، ص74.

وهي تختنق ...هي الحياة تناديني وملئ دمي أحس أمواجها الحمراء تتدفقُ...ولن يعيق خطاي الشوك مرتفعا ولن يخدرني من ورده العبق ...

وهو يبعث من سجنه رسالة إلى أمه يطمئنها بأنه رغم كونه وحيدا في السجن، فإن شركاء في النضال وإن كان نبضه سيتوقف بالموت، فإن الشعب باق وسيبقى قلبه خانقا، ثم يرجوها ألا تحزن لدخوله السجن، فإن الأم الحقيقية ليست التي تبكي حين يعتقل ابنها ولكن هي الأم التي تودع أبناءها إلى المعتقلات وهي مبتسمة فخورة بهم وإلا فما الفائدة من إنجابها لهم.[1]

أماه مهما احتواني القيد منفردا فإنني بنضالي غير منفرد.

إن كان قلبي خفاقا إلى أمد قلب الجماهير خفاقا بلا أمد .

من لم تودع بنيها بابتسامتها إلى الزنازين لم تحبل ولم تلد.

تجربة معين بسيسو الإعتقالية في السجون والمنافي تكشف عن قدرة الشاعر على لإنطلاق من دوامة سجنه وإصراره على الإنتصار وإثبات الذات وإصراره على أن يصنع من السجن شيئا يناضل به ويهدم سور الظلام الذي حجب الشمس والقمر.

يقول في المقطع الأول من قصيدته "ثلاثة جدران لحجرة التعذيب التي يصف فيها حياة السجون:

عند طلوع الفجر سأقاوم .... مازال في الجدار صفحة بيضاء .... ولم تدب أصابع الكفين بعد[2]

تغلب على قصائد معين حالة السجين، فيذكرها في أكثر من قصيدة، وكأنها تشكل له هاجسا إلا أنه في قصيدة "تحد" يذكر السجن ولكن بطريقة عنفوانية، إذ يتحدى جلاده ومقيده، طالبا منه الإستمرار في هذا العمل الإجرامي في حبسه وتعذيبه، لأنه غير آبه بكل أفعاله، فهو ابن الثورة وابن الشعب الذي لا يستطيع أحد أن يقوضه ويهزمه:

أنا لا أخاف السلاسل فاربطوني بالسلاسل

[1]. أدب السجون والمنافي، يحي الشيخ صالح، رسالة دكتوراه، قدمت لجامعة الجزائر، 1993، محفوظة بمكتبة الأسد، دمشق، 105-106.

[2]. أنظر، ادب السجون والمنافي، يحي الشيخ صالح، رسالة دكتوراه، ص107-108.

من عاش في أرض الزلازل لا يخاف من الزلزال[1]

السجن كان حاضرا وبقوة في قصائد المناضل الفلسطيني بسيسو، فهد يعد حالة تواكب المناضل فما بالنا إن كان هذا المناضل شاعرا ! قصيدة "تحدي" تمثل أدب السجون بكل تجلياته.[2]

تضم قصيدته "المعركة" المشهورة والتي تعتبر من أهم أغني الثورة الفلسطينية:

أنا إن سقطت فخد مكاني يا رفيقي في الكفاح

فاحمل سلاحك يا رفيقي واتجه نحو القتال[3]

فحين كتب معين بسيسو هذه القصيدة كان قد تعرض للإعتقال اكثر من مرة على النظام المصري، ومع هذا لم يتوانى عن تقديم المصلحة القومية على المصلحة الشخصية ويقدم للجماهير العربية دفعة إلى الأمام مع هذه القصيدة.[4]

[1]. جيون الوطن المحتل، يوسف الخطيب، دار فلسطين للتأليف والترجمة، دمشق 1978، ط1، مجلد1، ص93.

[2]. أنظر: هواجس أسير (أدب السجون في فلسطين، كفاح طافش 2013، دار الجندي للنشر والتوزيع في القدس، ط1، مجلد1 ، ص210.

[3]. ديون معين بسيسو، الأعمال الشعرية كاملة، ص210.

[4]. تجربة السجن عند شعراء فلسطين، الخطيب رشا عبد الله، المجتمع، الثقافي 1999، ط1، مجلد 1، ص86.

دراسة جمالية:

تزخر قصائد الشاعر الراحل معين بسيسو بشتى تلاوين الرمز وتنوعه وفق تركيبة البنية الداخلية للقصيدة، ضمن معطيات القول الشعري مما يجعل من عناصره ورموزه في الشعر، فعل تمرد ورفض لها هو قائم وموجود، في حين كان يندرج الخطاب الشعري آنذاك مع هذه البنية، وفي قالبها الذي واكب مسيرة المقاومة، أضف إلى الصيغة التعبيرية لصورة التراجيديا الفلسطينية، في منحى آخر.

وكثيرا ما تجتمع العناصر الرمزية في شعر معين لترسم ملامح لتلك المرحلة، حين أسست لعالم قوامه تثوير الرمز ونصر والنص الذي يحمل بمضمونه موضوعا أو قضية بحجم المأساة الفلسطينية.[1]

عندما كتب الشاعر معين بسيسو قصائده، كان يمارس طقس تمرد ومشاكسة مع هذا الوجود الحافل بالأضداد، وربما كان يتقمص مشهد الملهاة داخل المأساة ذاتها، أكثر مما يريد أن يصل إلى الفعل الكتابي، ولهذا كان ميوله نحو المسرح، فكتب إلى جانب الشعر النصوص الدرامية، وكان أشهرها مسرحية ([2]بقرة الزنج) مما نجد بعضا من تأثير اللغة المسرحية في شعره أيضا، ونكتشف أن الشاعر معين بسيسو كان يمقت كل ما هو ناجز ومكتمل داخل حقول الكتابة، إذ أنه كان ينظر بعين النقص للتجارب بكافة أنواعها حتى لكل شيء في محيطه.

نقترب من النصوص والموضوعات الشعرية التي تركها لنكون أمام المنشودة في شعره، ذلك على نحو يوحي بشكل مباشر بأنه صاحب مفرقات مدهشة في موضوعاته وصاحب موازين دقيقة ورؤية نقدية جريئة، قبل أن تطفح ذاته بالشعر، يقول: الشعر ويكتب ذاته ومشاكسته مع القدر، ندخل عالم هذا الشاعر الكبير الذي ترك أعماله الكاملة وشاهدها في طبعتها عام 1989 في بيروت أي قبل خمس سنوات من رحيله ، وعندما رحل الشاعر معين بسيسو أغلق عينه وقلبه على آخر مشهد من مأساتنا، كان أول ديوان له بعنوان

[1]. جماليات القصيدة الفلسطينية، دراسة نقدية لأعمال شعراء رحلوا، ماهر اليوسف، الشارقة، دار الثقافة والإعلام، ط1، ص11-12.

[2]. ما قالته غزة للبحر، دراسة نقدية في تجربة معين بسيسو الشعرية،د. نادي ساري الديك، ط1، وزارة الثقافة الفلسطينية، رام الله، 1998، ص51.

المعركة الصادر في القاهرة، لأنه الشاعر متميز بنبرته و أسلوبه الذي ترك أثرا واضحا في جيل بأكمله من مريديه ومحبيه إضافة إلى كونه شاعرا أو مسرحيا فقد كتب أيضا الدراسات الأدبية.[1]

يمتاز دخولنا إلى عالم بسيسو الشعري بأننا سنكون أمام حزمة ضوء شعرية تشع في معظم قصائده، وإن أول ما يلفت الإنتباه هو أن مكونات القصيدة لديه حافلة بالدلالات و التشبيهات في صورها تندرج ضمن مكاشفة بين الذات والموضوع، عبر أسلوبه الحميم الشبيه بمرايا متوازية حين تنزل إلى عمق مخبوءات ذاته لتنكس لنا هذه المرايا نصوصا متوردة ناصعة بشعريتها، في حين يكتب معين بسيسو الشعر ليصل إلى برهة الإنتقال في الموضوع وليس الإكتمال وبلغة حميمة ممتنعة عن فعل الإقصاء لما هو طبيعي ومتوازن وعادل وحقيقي، وربما يختار بأسلوبه الذي غالبا ما يتطبع بشخصية أيضا حين يمارس فعل مشاكسته شعرية ليصل إلى مفارق، لا يحمل الشعر أكثر من طاقته، فقط كان يريد أن يرى في الشعر صورة الوردة إسمها حرية، مرآة لحلمه، فالشعر عند معين بسيسو بوصلة للإنسان تائه يبحث في لغة العدالة وشكلها ومضمونها وإن إحدى أهم الملاحظات في شعره أنه تلقائي في أسلوبه مما يجعل من الشكل لأكثر انسجاما وتوازنا مع الموضوع والمضمون فهو عاصر مرحلة كبيرة بمتغيراتها فمن عقد إلى عقد كانت تبلور ملامح جديدة لدى شعراء تلك المرحلة في حين كان يعتبر نفسه معينا أكثر بالمأساة الفلسطينية، مما فرض على شعره طبيعة المكان وأثره في رؤيته، حيث انتقل من غزة بفلسطين إلى القاهرة ثم بيروت موسكو والعديد من الدول، فحين نطالع ديوان المعركة وهو من بواكيره الأولى نجد قصيدته الشهيرة.

أنا إن سقطت فخد مكاني يا رفيقي في الكفاح
واحمل سلاحي لا يخفك دمي يسيل من السلاح
وأنظر إلى شفتي أطبقنا على هوج الرياح
وانظر إلى عيني أغمضنا على نور الصباح

[1]. أنظر "ما قالته غزة للبحر، دراسة نقدية في تجربة معين بسيسو الشعرية، د نادي ساري الديك، ص52.

أنا لم أمت أنا لم أزل أدعوك من خلق الجراح[1]

هذه القصيدة تحولت إلى نشيد على كل شفاه لدى المنفيين والمهمشين واللاجئين، ونجد أن معظم القصائد معين بسيسو موزونة في إيقاعها لداخلي لطراوة عباراته وحميمية موسيقاها.

تدور عناصر القصيدة عند معين بسيسو في سياق تأملها للصراع في حين توزع هذه الرموز في نسيج الوعي لتكون أكثر تأثيرا مما يجعل من وضع المتلقي أكثر تعاطفا معه أو أكثر إحساسا وإثارة للرموز حين يصل في نشيده إلى الخلاص الإنساني، وثمة ما يستهوي الشاعر من صيغة درامية تتشكل في نواة شعره، ويعبر بصورة رئيسية عن إنسانية مهدورة ومغدورة حين يكتب مأساته ففي قصيدة "الصوت ما يزال" نقرأ:

مدينتي، أقراطها الزنابق البيضاء / وعقدها حبّاته براعم الأنداء / يحبّها علاء / أخي الذي يجوع والربيع في مدينتي ذراع / وبرتقاله على الشجر / أخي الذي يرشّه الرصاص والمطر / إليك من دمائه اللألأة السّلام / ومن مدينتي السلام / مدينتي الشاهرة السلاح والجراح / متراسها الأمواج والنيران والرياح ...

ينتقل الشاعر بعدد ذلك إلى التشبيهات والصور من مكان ذاته التي تتوق إليه روحه وهو في منفاة، لكنه محكوم برغبة العودة إلى طبيعة الماضي المسالم، كما أن الشاعر معين بسيسو مأخوذ بفكرة الضحايا والمهمشين اللاجئين الموتى والشهداء، والجراح الكبيرة ورفاقه السجناء في أقبية التعذيب والزنازين ومع كل دروب الآلام الممتزجة بألمه الأولى ولا ينتهي من رموزه في نسيج المأساة حين يكون هناك عودة للذاكرة إلى مسقط رأسه[2]، ففي قصيدة "إلى عيني عزة" يقول:

حينما أرسف بالأسوار في كلّ مساء / ولكم مرّ مساء مساء / ويحوم الليل كالطائر في منقاره خيط ضياء

---

[1]. أنظر جماليات القصيدة الفلسطينية، دراسة نقدية لأعمال شعراء رحلوا، ماهر اليوسفي، الشارقة، ص13.

[2]. أنظر الأعمال الشعرية الكاملة، ديوان معين بسيسو، ص 74.

لنجوم لا أراها في السماء / يفرد القلب جناحيه بعيدا ويطير / لبساتينك يا غزتي الخضراء في ليل الجحيم ..[1]

يصل الشاعر إلى تحقيقه حضور الوطن حين يكون بعيدا عنه عبر موضوعاته الشعرية، بعد مناجاته الذاكرة الطافحة بالألم ويظل مأخوذا ببساطة تراكيبه التي تفضي بمجازاتها واستعارتها إلى أعمق المعنى ودلالاته، ويحتل هذا النموذج حيزا كبيرا في قصائده وسرعان ما ينتقل برموزه كي يصوغ أناشيده ضمن موسيقاها، وإيقاعها الداخلي لتكون أكثر تلقائية و وخفيفة الظل والحركة، ففي قصيدة الأغنية المعصوبة العينين نقرأ:

من أجلك أقحم أسواري / من أجلك أرجم بالنار / من أجلك أغلالي / من منفى الأرض كجوال / من أجلك خبزي بدمائي / معجون خبزي بدمائي ...[2]

في حضرة الشاعر تكثر الإيماءات المتحركة ضمن أجواد الحزن الذي تكتبه الذات الشاعرة بشفافية، لكأنه يكاد أن يصل مع تجميع الصور والتراكيب في بنية القصيدة إل البدايات التعبيرية والتعرف إلى ماهية الأشياء في محيطه ليحملها إلى رموز جميلة تدور في مدار الذات المكتسبة لموروثها المتخيلة على نحو فريد عالمها، بعيدا عن أي تجريد لغوي، فالشاعر يضعنا على نحو مباشر أمام فعل الكتابة الشعرية الناجزة لموضوعها الحميم وتقودنا عباراته إلى العزاء الذاتي لفجيعة الموت برمزية البلبل فنقرأ في قصيدة "طابع بريد إلى القاهرة":

حلفت القصيدة / بطابع البريد وهو شرفتي الوحيدة / حلفت قد عشقها صغيرة / وحينما تفجرت وأرخت الضفيرة / ذكرت وردة وريشة صغيرة / لبلبل قد مات في الظهيرة / ألقيتها في البركة الصغيرة / والأعين الكسيحة القعيدة ...[3]

وعندما يتحدث معين بسيسو عن الموت يرتبط ذلك بموت الشاعر ذاته حين يجد لذاته فسحة من العزاء في هذا العالم العي عن الفهم حين يكتب مأساته في قصيدة "طائر

---

[1]. أنظر رؤية نقدية في أعمال الشاعر معين بسيسو المسرحية، د. غسان عبد الله "لم تسقط من يده جمرة"، إتحاد أدباء والكتاب الفلسطينيين، 1998، (مجلة).

[2]. الأعمال الشعرية الكاملة، ديوان معين بسيسو، ص 211.

[3]. رؤية نقدية في أعمال الشاعر معين بسيسو المسرحية، د. غسان عبد الله "لم تسقط من يده جمرة، إتحاد أدباء والكتاب الفلسطينيين، 1988، (مجلة).

الرماد" مؤكدا عودة الشاعر حيا كمثل طائر الفينيق المنبعث من الرماد وهنا يقترب من الأسطورة التي تفي بالغرض الخلود حين يقول:

الشاعر قد مضى كفيمة / وغاب ثم عاد / كطائر من الرماد / كحزمة من الدخان / يعض في عيون ملهمية / في كتاب ...

تكثر المفردات الصدامية القاسية في شعر معين بسيسو كأنها انفجرت في القصيدة ليصل بها المنحى إلى التعبير عن القسوة التي تحيطه حين تعذبت روحه وضاقت الأمكنة والأشياء لدى مغادرتها موقع الحرية والعدالة، وهو يتفحص الأضداد في شعره وهي الوسيلة الوحيدة التي توصله إلى مفهوم أكثر حرية وعدالة، وأكثر موضوعية، لكأنه يريد تحقيق معادلة عن ماهية صورة الضحية أما الجلاد، الحياة أمام الموت، في حين يرتقي الشاعر إلى مفهوم الإرادية في الشعر، بل إن معظم قصائده تأخذ هذا المنحى تجسيد الإدارة و مغادرة موقع الضعف وليس مفهوم الجسدي، بل المفهوم الإنساني الذي يرأف بالضعفاء حين تختبر قوة، وربما يستند في بعض قصائده إلى شيء مفهوم فلسفة القوة عند نيتشه، وهو بالغ التأثر بهذا الموضوع تحديدا في بواكيره الشعرية كديوان "المعركة".[1]

وحوا مفهوم القوة نجد بذلك إيضاحا لدى الشاعر محمود درويش "الشعر لا يستطيع أن يصالح القوة وهو مسكون وملزم بخلق قوته الذاتية كمجال حيوي دائم للدفاع عن الحق والعدل والصحية والشعر حليف الضحية على الدوام، وهو بالتالي لا يستطيع التحالف مع التاريخ إلا على هذا المبدأ الناظم".

إلا أن الشاعر في دواوينه اللاحقة يجسد مرحلة إنتقالية في رموزه لتكون أكثر استخداما وتوظيفا في صورها الجديدة وهي جديرة بانتسابها إلى الشعر النبيل.

يذهب معين بسيسو إلى أبعد من ذلك تعميم صورة المأساة، ضمن بقائه على خصوصيته لكنه في سؤال الهوية الموازية لكل هذا الألم، لكل هذه التراجيدية كمن يبحث عن معجزة وعلى نحو استثنائي يرى في مرآة ذاته صورة الآخرين الذين يئنونا بما يواجهونه من مأساة أيضا حين يتحدث عن أشقائه، كمثل مرحلة النضال الوطني في

[1]. جماليات القصيدة الفلسطينية، دراسة نقدية للأعمال شعراء رحلوا، ماهر اليوسف، ص16-17.

الجزائر فيجد في مشاعره المتضامنة الصورة ذاتها التي يريد أن يصل إليها وتنطبق على واقعة المعاش ونقرأ في قصيدة محمد علي الصغير:

بعيدة مثل يد الصديق يا محمد / بعيد هي الجزائر / بعيدة مثل عيون المرأة الأولى / على السرير / يا قمر أتحت سنابك الخيول / يا وشم على ذراع كل حانة / يا خنجر يبكي على رمانة / يا عندليبا قد هوى مقامر بالريشة الأخيرة / آه عليك مثل ملك مهاجر تموت ...[1]

ثمة جمالية هنا في هذه القصيدة نقاربها مع ما تحدث به "جان جنيه" عن جمالية الإنتصار والخروج من العار، جمالية التمرد، هذا الشاغل الجمالي الشعري يقول: "قبل حرب الجزائر لم يكن العرب في فرنسا جميلين، إذ أن قيافتهم المضحكة كانت ثقيلة تتجرجر وعبارات تبرمهم مشوشة، ثم وفي صورة مفاجئة تقريبا جعلهم الإنتصار على قدر من الجمال".[2]

ثمة قصيدة لا تخلوا من أجوائها الغرناطية في شعر معين بسيسو وتتضح هنا صيغة التشابه والإقتراب من الشاعر الإسبانس لوركا ويحاول الشاعر هنا توظيف بعض رموز لوركا بصورة مختلفة ونطالع في قصيدته له معنوية بالفخرية:

نهر خواتم / نهر أصابع / وبحيرة أحجار.../ ضع قمرك في مخلاة جوادك وارحل / ضاع العصفور وبقي الخاتم / فسبعة أقراط من خشب / وبعثر ين قصيدة / وبحبه رمان وبمرآة مكسورة باعته الفجرية ...[3]

تنجوا القصيدة معين بسيسو من عذاب محقق يحيط بالذات الشاعرة وهو ينتقل دوما في سياق مرحلي متوازن في بنية القصيدة بحيث تكون ملائمة ما بين الشكل والمضمون الذات والموضوع وينسجم في رؤيته وخياله الجامع الذي يتصف بفيض الصور والمجازات والإستعارة ويبقى قريبا من موضوعه عبر تصور دافعه مما يؤدي أسلوبه إلى الإرتقاء بالقصيدة ويبقى مشغولا بواقع شعبه ليعبر عنه شعرا حميما مسكوبا على جمال الفكرة

[1]. معين بسيسو، الأعمال الشعرية الكاملة، بيروت، دار العودة، ط1، 1989، ص16.

[2]. محمود درويش، حوار معه بعنوان "لا بيت خارج للشعر خارج النظام"، حاوره الناقد الصحفي صبحي حديد، مجلة الكرمل، فصيلة العدد /37/ تاريخ، 1993.

[3]. معين بسيسو، الأعمال الشعرية الكاملة، بيروت، دار العودة، ط1، 1989، ص42.

والموضوع الذي لأجله يصنع كل هذا الشعر، وعودة إلى ما قاله "جان جنيه"، وهو كان شاهدا على نماذج الجمال الفلسطيني في قواعد الفدائيين والمخيمات: "إن التأكيد على وجود جمال خاص بالثورتين يطرح صعوبات كثيرة خلال ربيع 1971 عندما كنت أزور القواعد الفلسطينية، كان الجمال مختلفا، مكتوما بعض الشيء ينشر ظلاله من خلال سيادة النساء والأطفال وجمالهن، فإن تفسير تألقهن يستلزم مناقشة طويلة ومعقدة"[1].

ومع هذا المفهوم لم يكن معين بسيسو وهو شاعر المقاومة والمعركة والصراع بعيدا عن مشاعر الطمأنينة والقلق والسلام والعدالة والحرية حين تتطبع القصيدة بجمالية روحه فإنذهب إلى جبهة أمامية يقف بشموخ وإباء المقاومين ولا تنكسر لغته بعبارتها الندية حين تنتعش لها روحه ويكتب معين بسيسو شعرا مؤثرا عن الشهداء فيقول في قيدة "غزال حنين".

إستشهد الماء ولم يزل يقاتل الندى / إستشهد الصوت ولم يزل يقاتل الصدى وأنت بين الماء والندى / وأنت بين الصوت والندى فراشة تطير ختى آخر المدى / يذهب للخندق / يترك دمه / ويعود إلى الحائط ملصق / يذهب إلى الخندق...[2].

ثمة جمالية لموضوع الشهادة والشهيد، تناولها معظم الشعراء في نصوصهم الشعرية، وخصوصا شعراء المقاومة، حتى أن هذا الموضوع ينتشر على لحافة الأجناس الأدبية من رواية وقصة وفنون تشكيلية وسينما.

والشاعر معين بسيسو أخد الشعراء الذين تغنوا بجمالية الفعل المقاوم والذي يتوج الشهيد ويأخذ مكانه البطل التراجيدي، الذي رحل وبقي صوته وفعله فكرة جميلة، لا تنتهي بحرية الوطن، والإنسان، وهل هناك موضوع يلزمها في المأساة يقول الناقد: فيصل دراج: "تتوالد المأساة الفلسطينية في هذه الحدود نصا مأسويا متعدد المستويات، مأساة الشهيد الذي

[1]. محمود درويش، حوار معه، مجلة كرمل بقلم الناقد صبحي وصيلة العدد37، تاريخ 1993.

[2]. جان جنيه، شعرية التمرد، نصوص وحوارات، إعداد وتقديم د.مالك سلمان، درا كنعان، الطبعة الأولى، 1998، ص282.

اطمأن إلى النص، مأساة الذي رثاه مطمئنا إلى انتصار، ومأساة الذي يستمع إلى رثاء الشهيد بطمأنينة كاملة"[1].

معين بسيسو صاحب المفردة التي تأتيه طوعا ولغة طازجة نقية من أية شوائب، قصيدته واضحة وضوح الأسماء، وللحق أن أسلوبه يترك أثرا حميما في الذات الشاعرة والمتلقية، يكتب القصيدة الممتلئة ببلاغتها ولشعره نكهة الشموس المعلقة، عند عناقيد يانعة، يمارس في شعره طقوس الإحتجاج والمشاكسة، ويكون أكثر تصميما على البوح بما لم يقل غيره، ومن ذات مشبعة بالنور، يتأمل كي يصل إلى القول الشعري كما لو أن ولادة جديدة لذاته في صيغتها الإنتقالية، على سلم موضوعها وعند نافدة إطلالتها على العالم الخارجي المليء بالتناقضات، ففي قصيدة "قبل أن تذهب النخلة، يضعنا الشاعر أمام عتبة مفارقته، حين يقول:

في أول الفجر / قبل أن يذهب الرغيف إلى النار / وقبل أن ينكسب الحليب من فم القطار / وجريدة الصباح توقظ ساعة الجدار / والتمثال يقضم وردة بأسنانه المعدنية / في أول الفجر قبل أن تراجع العصافير برنامجها المدرسي / قبل أن تكتب الفراشات لونا جديدا / في كراسة النار ...[2]

ينبغي أن نجد في الصورة المؤسطرة التي يذهب إليها الشاعر في بعض قصائده، لنرى نموذجا شبيها بصورة البطل الأسطوري كما لو أنه يمكث عند آلهة إغريقية، ففي قصيدة البيانو نلمس بوضوح وجود استعارة ملحمية شبيهة بالملحمة الإغريقية، مما ينم هذا الشعور عند معين بسيسو عن حبه للمغامرات ورحلات الإكتشاف وأيضا تعلقه في البحر حين يرمز إليه في القصيدة وهي الذي أقام النجر وشواطئ غزة، إنه يبحث في مكتشفاته الذاتية، ونطالع في قصيدته:

نزلت من يدي قصيدة / للبحر يا سفني الجديدة / والبحر عاشق قديم / كم تكسرت على سريره المراكب / والبحر شاعر قديم / كم تكسرت على سريره الكواكب / وأنت طول

[1]. جماليات القصيدة الفلسطينية، دراسة نقدية لأعمال شعراء رحلوا، ماهر اليوسفي، ص18.

[2]. جان جنيه، شعرية التمرد، نصوص وحوارات، إعداد وتقديم د.مالك سلمان، درا كنعان، الطبعة الأولى، 1998، ص282.

العمر تبحثين عن سفينة وعن البطل / يدي هي السفينة / التي سترسمين ذات ليلة / رموشها الطويلة / قصيدتي قصيرة / الآن يصطادون في الصنارة الفراشة الأخيرة ...[1]

يصل الشاعر معين بسيسو في مأسته إلى حدودها القصوى حين يشعر موته ويكتب قصيدته بلا وصية يذهب إلى الشريعة الإسلامية المساملة المؤنسة، ويبقى الحلم كما الشعراء، ويكون موزاييكه الشعري لوحة خالدة نرى فيها مرآة ذاته المولعة بالشعر، إنه العاشق الذي أحب حتى الثمالة وظل يحلم بإعادة تكوين العالم وفق منحى طموحه الطافح محبته وسلاما إنسانية ويصل في نشيده وشد وقصائده المغناة إلى فضاء المطلق حين يأخذ بروعة الأرض والوطن ينشد عودته من المنفى، ويراكم شعوره مع الحالات القصوى للضحايا والمهمشين حين يبدع في تصويره لمأساة شعبه الرازخ تحت الإحتلال، معين بسيسو الشاعر الإستثنائي الذي كتب بصريح العبارة نبوءة انتصار الحق على الباطل التراجيدي صورة لمعظم قصائده المنتمية للمقاومة، وربما كانت أيضا نبوءة الموت القادم، فنقرأ في قصيدة الغزالة:

أموت ميتة الغزالة / ليس جرحي وردة وليس وجهي برتقالة / لنعترف قبل انفجار هذه الرسالة / بأن شيئا ما يميز الفراش عن طوابع البريد وإن من خلال شاعر قديم / يصعد الدخان من ديوان شاعر جديد / لنعترف قبل انفجار هذه الرسالة ...[2]

إذن يصل الشاعر هنا برؤيته إلى أبعد مرتبة التواصل مع شعراء آخرين أتوا بعده أو سيأتون، ليكملوا مشوار الأسلاف، وحول تجربة معين بسيسو الشعرية يقول د. الناقد فيصل دراج: "إن معين بسيسو في مساره الثقافي والشعري يطرح قصية أدبية أساسية، تحتضن الملصق وتتجاوزه، عنوانها القصيدة التحريضية، التي تحمل بعض الشعر، لأنها أثرت أن تحمل كل الوطن، كما لو كان معين شأن كل وطني غاضب كبير يرى جدوى القصيدة المباشرة ويزهد في رؤية ما تبقى وكان في ذلك يمارس أمرين: قصيدة تربوية

[1]. فيصل دراج، بؤس الثقافة في المؤسسة الفلسطينية، دار الآداب، ط1، 1997، ص75.
[2]. المرجع السابق، ص76.

وطنية عالية الصوت تعين الوطن مرجعا لكل ما عاداه ومنظورا شعريا كفاحيا يدعوه أمل الإختصاص بـ: "المنظور النفعي للقصيدة"[1]

وهكذا يختصر معين القول الشعري إلى تحديد ما سبق لما تريد أن تقوله الذات الشاعرة، رغم إمتلائه بصخب المفردات وزخم الأمور، وكان على مثابرة في إنجاز مشروعه الشعري، رغن تلون وتنوع الأزمنة التي عاصرها، لقد كتب معين في مقدمة الأعمال الشعرية الكاملة قبل رحيله ببضع سنوات قليلة، ما يلي: "تنظر في تلك الكف، وتحلم في أن تكون نقطة أو فاصلة أقطرة من الحبر، لو سقطت على كف الوطن، لتحولت إلى شامة... وهي ما يسمونها بالمجموعة الشعرية الكاملة، ...يسقط الدم ويسمونه حبر الشعراء وعليك أن تحافظ تلك المحبرة، وأنت تريد أن تصرخ طول الوقت، وأنت تنظر إلى قصائدك، تصرخ مع البحار في أعلى السارية: جزيرة جديدة في الأفق ... قصيدة جديدة..."[2].

قصيدة المعركة أنموذجا

معين بسيسو أضاف للتراث الشعري العربي تصميمه وتأملاته وتمرده، قصائد جديدة بلغت قولها الشعري ببساطة ونضوج وتناسق عبر منظومته الشعرية، وهو ينحت أسلوبه للإرتقاء بالقصيدة حين أصبحت أناشيد للمقاومة.

تحليل قصيدة المعركة:

أنا إن سقطت فخذ مكاني يا رفيقي في الكفاح
وأنظر إلى شفتي أطبقتا على هوج الرياح
أنا لم أمت، أنا لم أزل ادعوك خلف الجراح
واقرع طبولك يستجيب لك كل شعبك للقتال
يأيها الموتى أفيقوا إن عهد الموت قد زال
يأيها الموتى أفيقوا إن عهد الموت قد زال
ولتحملوا البركان تقذفه لنا حمم الجبال

[1]. فيصل دراج، بؤس الثقافة في المؤسسة الفلسطينية، معين بسيسو: القصيدة التي أرادت تحرير الوطن، مجلة الكرمل، العدد 09 ربيع1999.

[2]. جماليات القصيدة الفلسطينية، لماهر اليوسفي،ص20-21.

هذا هو اليوم الذي قد حددته لنا الحياة
هذا هو اليوم الذي قد حددته لنا الحياة
للثورة الكبرى على الغيلان أعداء الحياة
فإذا سقطنا يا رفيقي في جحيم المعركة
فإذا سقطنا يا رفيقي في جحيم المعركة
فانظر تجد علما يرفرف فوق نار المعركة
مازال يحمله رفاقك يا رفيق المعركة
مازال يحمله رفاقك يا رفيق المعركة

الشاعر "معين بسيسو"[1]

نص يكشف الرؤية المعمقة عند الشاعر معين بسيسو صاحب التجربة النضالية المثيرة والتجربة الشعرية المتمكنة من أدواتها، مبناها وتراكيبها، على الرغم من اقتراب لغة الشاعر من مفردات الحياة والنسيج الذي يقترب بتماسه مع مرارة الواقع الفلسطيني، ومعاناة شعبنا القاسية، داخل وطننا المحتل وخارجه، ظلت اللغة الشعرية عالية الوقع والنسج والقيمة فقصيدة "المعركة" بمعناها الوطني الهادر والجماهيري تكشف عن علاقة الشاعر بجماهير شعبه ... علاقة وثيقة وعميقة جدا ترتبط بالوجدان الإبدائي بالوجدان الجماهيري، لمقاربة الصوتين، ببعضهما ليصبحا صوتا واحدا ندي الإثارة، ...تردد صداه حتى قارعات الطريق المفضي باللأجيال العودة والتحرير، من خلال نغم درامي موجع، ... لايغادر ذاكرة مغنية ومستمعية:[2]

أنا إن سقطت فخد مكاني يا رفيقي في الكفاح
واحمل سلاحي لا يخيفك دمي يسيل على السلاح

[1]. ديوان معين بسيسو، الأعمال الشعرية الكاملة، معين بسيسو، 1، مجلد1، دار العودة، 2008، ص05.

[2]. الإتجاهات الوطنية في الشعر الفلسطيني المعاصر، محمد عبد الله عطوات، 1998، منشورات دار الآفاق الجديدة، ط1، ص72.

أسرح بخيالك وتصور جنديين في خندق واحد وقد أصيب أحدهما فراح يوصي أخاه بحمل بندقية ومتابعة القتال، ومتابعة النضال والإصرار عليه دون يأس أو فتور، فليس جرح مقاتل بل حتى موته محبطا لإخوانه المقاتلين أو داعيا لليأس فحين يسقط المقاتل في المعركة، على أخيه أن يحل محله في خندق القتال:

أنا إن سقطت فخد مكاني يا رفيقي في الكفاح

إن المقاتل الجريح لا يناشد أخاه أن يحمله ويسرع به مسعفا إلى المستشفى، فالجندي يطالب أخاه ان يتابع مسيرته النضالية، وأن يستمر في حشد الجماهير لتهب لقتال أعدائها، فهي جائزة تنظر قرع طبول الحرب لتهب القتال:

أنا لم أمت أنا لم أدعوك من خلف الجراح

واقرع طبولك يستجيب لك شعبك للقتال[1]

ويتحمل من نداء أخيه الذي بجانبه إلى مخاطبة شعبه الذي استكان حتى وصل إلى درجة الموت مطالبا إياه أن يلهب براكين الثورة:

يأيها الموتى أفيقوا: إن عهد الموت زال

ولتحملوا البركان تقذفه لنا حمى الجبال

وإن معركة يوم المعركة هو يوم الحياة، وليس يوم الموت، فهذا اليوم قد حددته الحياة للثورة على أعداء الحياة، وهو يعني بذلك حياة الوطن والشعب وإن يكن مبنيا على تضحية أفراد، فمن سقط جريحا في المعركة فعليه أن ينظر ليجد علم وطنه مازال مرفوعا في ساحة المعركة ومازال يحمله الأبطال الذين يتابعون مسيرة النصر والتحرير:

هذا هو اليوم الذي قد حددته لنا الحياة

للثورة الكبرى على الغيلان أعداء الحياة

فإذا سقطنا يا رفيقي في جحيم المعركة

فانظر تجد علما يرفرف فوق نار المعركة

مازال يحمله رفاقك يا رفيق المعركة[2]

[1]. ديوان معين بسيسو، الأعمال الشعرية الكاملة، ص05.

[2]. معين بسيسو،الأعمال الشعرية الكاملة، ص05.

وفي القصيدة يتجلى أمران هما "الإقدام والإصرار"، وذلك من النبرة التي يحملها الشرط وجوابه، وكذلك الطلب وجوابه، (إن سقطت فخذ مكاني، إقرع طبولك يستجيب، فإذا سقطنا...فانظر تجد) وكذلك من خلال الأمر بفعل الأمر أو لام المر (يأيها الموتى أفيقوا، لتحملوا البركان) وكذلك من خلال النفي (لم أمت أدعوك) وبالإقرار الزوال مع التوكيد بأن (إن عهد الموت زال).

الإصرار:

والإصرار على متابعة المسيرة النضالية سمة بارزة في قصائد شاعرنا فالثورة قائمة لا يمكن أن تتوقف ما دام هناك ظلم لا يعتقل أصحاب الأرض ويودعهم بالسجون.[1]

يتقن الشاعر الحقيقي إيصال قصيدته، لقارئه لأبناء شعبه جميعا، لشعوب الإنسانية، لذا فهو لكل هؤلاء المعلم الأول: والشاعر الأول الذي يتحكم بمفردات قصيدته: بالحناجر التي تغني، وتردد مغناة، والناي الذي يسري فيه إيقاع المغنى وعذوبة الكلام، وسحر البيان من هنا: كان الشاعر صوت الأمة كلها، ووجدان الأرض والشعب والملهم الذي يصعد بالروح إلى علاها، وبالناس إلى معارج الجمال والكمال، والمتع الدافئة[2].

القيم الجمالية للقصيدة "المعركة" معين بسيسو:

عند تحليل لهذه القصيدة أردت أن أستجلي ما فيها من قيم جمالية مثل: "الحب، الصدق، الكفاح، الحرب، الإنسانية، الموت، الألم، المثابرة، الحياة، السلام وما إلى ذلك

وأنا بصدد تقويم الكلام أو مناقشة ما فيه من جمال أتعرض إلى الانسجام، الإيقاع، الفضيلة والنسج والسلاسة والطلاوة والتأثير الأدبي عموما، وغير ذلك من صفات الجودة والتي ليست إلا نتيجة لقدرة الشاعر على استخدام اللغة واستغلال إمكانياتها، وإن أي قطعة أدبية لا يرجع تحقيقها لهذه الصفات أو فشلها في تحقيقها إلا لندرة على تحقيق التفاعل بين أجزائها من وظائف اللغة ومكوناتها.

[1]. أنظر: في نقد الشعر العربي المعاصر، دراسة جمالية، رمضان الصباغ، دار الوفاء للطباعة والنشر، الإسكندرية، مصر، ط1، سنة 1998، ص81.

[2]. محمود درويس، شاعر الأرض المحتلة، رجاء النقاش، دار الهلال للطباعة، ط2، 2005، ص95.

والقصيدة لوحة فنية رائعة، والآثار الفنية التي تعتمد فيما تحدثه الشاعر على قيم جمالية وفنية، تنبع من الشكل واللغة والصوت (الأنين) لما لا يقل مما أنتجه المضمون.[1]

فالشاعر نقل طاقاته اللغوية والجمالية نقلا أمينا للقارئ حتى يشعر بالتأثير و التأثر، ولا شك أن الشاعر عاش تجربة حقيقة بحكم عواطفه، فلولا حبه لوطنه فلسطين المحتلة الذي أثر في نفسية فهن علاقة حب بين الشاعر ووطنه والكفاح وهذا الحب فيما يبدوا له قيمة جمالية في القصيدة والحب الذي يربط بين المواطن ووطنه هو حب طاهر، حب طبيعي بل هو على رأس الفضائل فهو داعم الحب النبيل.

وأما الحوار القائم بين الشاعر ورفيقه المكافح هو وسيلة من وسائل الفنية في تصوير الشخصية ورسم المواقف، وإبراز المشاعر في قوله[2]:

أنا إن سقطت فخذ مكاني يا رفيقي في الكفاح

واحمل سلاحي / وانظر شفتي / وانظر إلى عيني.

وفي القصيدة "حقيقة" زادت من القيم الجمالية للمجسدة فيها حقيقة وهي "الموت" في سبيل الوطن لأنها حقيقة مستمرة بذاتها وقائمة بنفسها، ولا سبيل إلى الشخوص في حضرتها وكأنها معادلة جاثمة رابضة تكون في قبضته الحواس والعقل معا...

ونلمس هذه الحقيقة في كل القصيدة في الأسلوب ونوعية الأحداث واحتراز الشاعر رمزا عن هذه المعاناة المتمثلة في الموت، والألم والكفاح.[3]

أما عن الجمال في حد ذاته هو قيمة جمالية: عبر عنه الشاعر من خلال الأسلوب السلس والنسج المحكم، فيه نشدان للجمال فهو أدب يخاطب النفس ويهز الروح.[4]

وعن اعتبار الفن كقيمة جمالية في شعره نجد أن الشاعر أصبح أديبا مكلفا أن يبلغ هذه الطبقات المحرومة ويعيش ما يعيشه بلده من استعمار وظلم، حروب ... إلخ، فهو

---

[1]. محمد زكي العشماوي، قضايا النقد الأدبي بين القديم والحديث، دار المعرفة الجامعية، مطبعة ياصورا، الإسكندرية، 2000ن 294.

[2]. إيلي حاوي، معروف الرصافي، التأثر والشاعر، الشعر العربي المعاصر، دراسة وتقييم، ج1، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط1، 1978، ص44.

[3]. حنا الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي، الأدب الحديث دار جليل، بيروت، لبنان، 1986، ص494.

[4]. محمد عبد المنعم خفاجي، دراسات في الأدب العربي الحديث ومدارسه، ج1، دار الجيل، بيروت، ط1، 1992، ص175.

أصبح مكلفا أن يبلغها أولا لينقل صورا حية عن أبناء وطنه المستعمر، ويبلغها ثانيا إلينا هذه الصور المؤلمة ومن ثم لا يمكن إغفال دور الفن كقيمة جمالية على حد تعبير الدكتورة سهير القلماوي في بناء قيم أخرى.[1]

والصدق من ميزات الفن و طبيعته "فالفن تعبير صادق ولا يكون التعبير الفني جميلا إلا إذا كان صادقا، كما أن الحق من بيعة الفن لأنه هو الإنتاج الروحي السامي" والفن لا يحيد عن الحق وهو مورد الحب والصفاء.[2]

ويتجلى المظهر الآخر من القيم الجمالية هو الجو المفعم بالحقيقة، الموت، الكفاح الذي أبسه الشاعر على أحداث القصيدة والذي يظهر في شكلين بشخصية والآخر بالحدث ذلك أن الحزن الذي يبوح به الشاعر هو ذلك الإنسان يحي لموته من أجل وطنه.[3]

الوحدة العضوية:

عملية الترابط بين المفردات عملية مهمة في السبك، فالرابط الذي يجمع المفردات يحقق للقصيدة التماسك الذي تطلبه الكتابة الأدبية، هذا يلزم على الشاعر المجيد المضي قدما في الطريق يتبعه مفردات النص الأدبي، وألا يشعر المتلقي بأنه يحاول رص كلماته جنبا إلى جنب بصورة مفتحلة وغير تلقائية، مما يفقد النص بريقه الإبداعي الذي يتعايش معه المتلقي تحت مظلة الصدق والعفوية.[4]

فقصيدة "المعركة" للشاعر معين بسيسو تحقق فيها الوحدة العضوية، كان نص قصيدته نصافي موضوع واحد فقد رأى معين بسيسو مقتضى الحال أي الغرض الأساس من القصيدة.

توفرت الوحدة العضوية في قصيدة ذلك لتوفر عنصران إثنان هما:

---

[1]. سهير القلماوي، النقد الأدبي، دار الكتاب الحديث، القاهرة، ط2، ص87.

[2]. ثرية عبد الفتاح محسن، القيم الروحية في الشعر العربي قديمة وحديثة، دار الكتاب البناني، بيروت، سنة 1964، ص291.

[3]. محمد عبد المنعم خفاجي، دراسات في الأدب العربي الحديث ومدارسه، ص152.

[4]. محمد العمشاوي، دراسات في النقد الأدبي المعاصر، دار النهضة العربية، بيروت، 1986، ص294، مجلد1، ط1، ص301.

1. وحدة الموضوع: فالقصيدة المعركة مواضيع واحد من أوله إلى آخره بتكامل الأفكار، وهي مرتبة ترتيبا منطقيا بحيث تسلم كل فكرة إلى التي تليها وترتبط بما قبلها ارتباطا وثيقا:

أنا إن سقطت فخذ مكاني يا رفيقي في الكفاح.

واحمل سلاحي لا يخيفك دمي يسيل من السلاح.

2. وحدة الشعر والعاطفة: موضوع الشاعر منسجم مع مشاعره ومع الموضوع الذي يعبر عنه، وهذه مشاعر العواطف مهيمنة على موضوع القصيدة، فقصيدة الشاعر كالكائن الحي يكتمل بأجزائه كما يكتمل الجسد بأعضائه، فالقصيدة بهذا المعنى أصبحت بناء متماسكا، يهيمن عليه إحساس واحد أفكارها شديدة التلاؤم، كل فكرة تمهد الأخرى، بحيث لا يمكن التقديم أو التأخير أو حذف بيت إلا واختل المعنى والبناء الفني واضطرب توازن القصيدة.[1] يقول الشاعر:

يا رفيقي في الكفاح / أدعوك خلف الجراح / كل شعبك للقتال / يا أيها الموتى أفيقوا / على الغيلان أعداء الحياة / في جحيم المعركة / فوق نار المعركة ...

وقف الشاعر على قاموسه: الكفاح، الجراح، القتال، الموتى الجحيم والمعركة، فالقطعة الشعرية تعالج موضوعا واحدا، وهو موضوع الثورة حين امتزجت عواطف الشاعر مع الثورة لنيل الإستقلال وكأنه في المعركة يخاطب رفيقه وهي رسالة لكل مكافح في ساحة المعركة ... كما نلاحظ مدى تماسك الأبيات فيما بينها بحيث لا نستطيع تقديم فكرة أو بيت عن آخر وهذا دليل تلاحم الأفكار وبرهان على توافر الوحدة العضوية في القصيدة.[2]

الموسيقى في قصيدة "معين بسيسو".

تعد الموسيقى من عناصر القصيدة الأساسية التي تحمل تميز العمل شالعري في مقابل النتاج النثري، فهي "المغناطيس" الذي يجذب المتلقي للتفاعل مع القصيدة بالبعد

[1]. ظواهر فنية في شعر التفعيلة عند معين بسيسو، رسالة ماجيستر، إعداد عبد الفتح النجار، إشراف حسني محمود، 1997، ص83.

[2]. التجليات الشعرية، قراءة في الشعر العربي المعاصر، فوزي عيسى، منشأة المعارف، مصر، ط2، 2006، ص94.

الأول المتصل بتقبله للعمل والإنشاد صوبه، وذلك أن النفس - بطبيعتها - تعشق النغم والإيقاع وحاجة هذه النفس في بعض الأحيان، الموسيقى تشكل أساسا للهدوء والإستقرار والشعور بالإرتياح، ولهذا نجد الدارسين الموسيقى "صورة نفسية قبل أن تكون نظاما من الإيقاع والنغم.[1]

إن عنصر الموسيقى جزء من جوهر الروح الشعرية، وهو جزء غير متوفر في النثر وإذا توافر فيه أصبح شعرا.[2]

أما عن الإيقاع فيعتبر عنصر جمالي من عناصر الكتابة الفنية ذات الدلالة المعنوية والذهنية، كما يكون الإيقاع في مواضيع عدة يعبر بها صاحب النص عن مختلف التقلبات النفسية من حزن وفرح وكره وحب فتجد درجته تختلف من موضع لآخر وتتجلى أهميته في "إضفاء موسيقى رائعة على النص ترتاح لها النفس سواء كانت موسيقى داخلية أو موسيقى خارجية، وإعطاء النص شحنة نغمية وشحنة معنوية وهذا تجسد في الوزن والقافية للشعر والسجع والنثر، والفاصلة للقرآن الكؤيم".

ولهذا نجد الإيقاع يندرج ضمن القضايا الصوتية فهو ينقسم إلى قسمين:

- إيقاع خارجي يدخل تحته الوزن والقافية.
- إيقاع داخلي ويتمثل في الموسيقى الداخلية.

أ. **الإيقاع الخارجي:** ويتمثل في الوزن والقافية لما لها من أهمية بالغة في الموضوع الكلامي وتصوير المعنى.[3]

1. الوزن: الوزن مرهون بقصيدة شعرية معينة تتكون من كلمات تنتظم بطريقة معينة وفقا لتتابع الحركة والسكون وهذا هو ما يجعل للشعر إيقاعه الخاص معتمدا على علاقة الأحرف في الكلمات فيما بينها والتركيز الزمني في الشعر هو الذي يبرز الكيفية التي يحددها بها الوزن.

---

[1]. جمال يونس، لغة الشعر عند سميع القاسم، مؤسسة النوري، دمشق، ط1، 1991، ص199.

[2]. مذكرة التخرج، إيقاع الموسيقي وتطوره في القصيدة العربية المعاصرة، 2004-2005، إعداد عبد الله محمد، إشراف د. مصطفى عبد المجيد، ص03.

[3]. رمضان الصباغ، في نقد الشعر العربي المعاصر، دراسة جمالية، دار الوفاء، للطباعة والنشر والتوزيع، الإسكندرية، ص169.

وللوزن أقر فعال في تعديل التجربة الجمالية الفنية، ويعد الشاعر الراحل "معين بسيسو" من مستخدمي البحور الصافية حيث جاءت قصيدة "المعركة" على "وزن متفاعلن متفاعلن متفاعلن" "البحر الكامل" كمل الجمال من البحور الكامل متفاعلن متفاعلن متفاعلن.[1]

2. القافية: لقد منح الشعراء في الشعر الحر القافية، وجودا خاصا يتناسب مع بناء القصيدة ويتفاعل مع غيره من المقومات التي تستوعبها هذه القصيدة، صارت القافي تتماشى مع طلاقة الشعر وتلقائية بما تفرضه عملية التفاعل بين العاملين الذاتي والموضوعي في العملية الإبداعية الكاملة،

والقافية هي تنظيم لمجموعة من العناصر الإيقاعية: "وكل هذه العناصر لابد أن تتكرر في نهاية كل بيت ون السماح بأي تنويع إلا بالصدق المنبور".

والقافية خاصة من الخصائص الخارجية للإيقاع إذ بهاتين القصيدة الشعرية العربية فالوزن وحده لا يجعل من الكلام شعرا بل لابد أن تصاحبه القافية، يقول ابن سينا: "لا يكاد عندنا بالشعر ما ليس به المقفى".

ومن خصائصها أنها فاصلة موسيقية تنتهي عندها موجة النظم في البيت وينتهي سبيل الإيقاع ثم يبدأ البيت من جديد.[2]

جدول يوضح من خلاله نوعية القافية الوارد في القصيدة وعددها:

القافية	عدد ورودها	السطر التي وردت فيه
اح	03 مرات	في السطر 1 و 2 و 3
ال	04 مرات	في السطر 4 لإلى السطر 7
اة	03 مرات	في السطر 8 إلى السطر 10
كة	05 مرات	في السطر9 إلى السطر 15

ب. الإيقاع الداخلي:

[1]. جمال يونس، لغة الشعر عند سميع القاسم، ص17.
[2]. السيد بحراوي، الإيقاع الشعري في شعر السياب، وزارة الترجمة والنشر، 1996، ص26.

إن عناصر الإيقاع الخارجي الوزن والقافية، غير كافية وحدها لإنتاج موسيقى النص أو الكلام إذ لابد من تواجد عناصر أخرى تكملها وتنتج معها موسيقى ذات الإيقاع منغم ملحن وهذه العناصر هي الإيقاع الداخلي والتي تختص بموسيقى الألفاظ التي كانت محل البحث النقدي إذ حرص النقاد على قيمتها الصوتية مفردة ومؤلفة في التركيب، هذا ما تنتجه الكلمة من لإيقاع داخلي قوي في النص مع الإيقاع الناتج عن الوزن والقافية.[1]

الطباق: لقد كان دور اللفظة أو المفردة كبيرا في إنتاج الموسيقى الداخلية للنص نحو هذا نجد الطباق شائع في أبيات القصيدة "المعركة" كقوله:

يأيها الموتى أفيقوا إن عهد الموت زال

هذا هم يوم الذي حددته لنا الحياة[2]

التكرار: إن الحالة النفسية للشاعر سواء كانت هذه الحالة شعورية أو لا شعورية لها أثر في إحداث الإيقاع وذلك باختيار الأساليب اللفظية والمعنوية المساعدة على ذلك ومن بين هذه الأساليب الشائعة في القصيدة مدروسة نلمس أثر التكرار فيها نحو قوله:

يأيها الموتى أفيقوا إن عهد الموت قد زال

يأيها الموتى أفيقوا إن عهد الموت قد زال

أيضا من خلال أبيات نلاحظ أن التكرار كان واضحا في أبيات القصيدة كقوله:[3]

مازال يحمله رفاقك يا رفيق المعركة

مازال يحمله رفاقك يا رفيق المعركة

وفي قوله أيضا:

هذا هو اليوم الذي حددته لنا الحياة

هذا هو اليوم الذي حددته لنا الحياة

إن التكرار بدلالته الواسعة العريضة يشكل القانون الأساسي لظواهر الإيقاع في الكلام وهو مظهر جمالي أو علاوة على قيمته الإيقاعية النغمية ذو دلالة تعبيرية.

---

[1]. معين بسيسو الأعمال الشعرية الكاملة، دار العودة، بيروت، ط1، 1979، ص105.

[2]. جمال يونس، لغة الشعر عند سميح القاسم، ص213.

[3]. عبد القادر هني، نظرية الإبداع في النقد العربي القديم، ص248.

ومن خلال دراستي لعنصر الإيقاع والموسيقى في قصيدة "المعركة" لمعين بسيسو نلاحظ أن الإيقاع بنوعيه الداخلي والخارجي في النص الشعري كان متجليا على حسب قدرة الشاعر على توظيفه له تماشيا مع الموضوع إذ وظيفته "هي الغناء المطلق بما في النفس من مشاعر وأحاسيس وانفعالات".[1]

[1]. جمال يونس، لغة الشعر عند سميح القاسم، ص123.

من خلال دراستي لهذا البحث الموسوم أثر الحرب على الكتابة الشعرية الفلسطينية (معين بسيسو أنموذجا) أضع يدي على بعض النتائج التي توصلت إليها:

إن فلسطين تظل هي قضية العرب الكبرى وإن النصر لابن آت طالما أن قوافل الشهداء تمضي ضاربة المثل الأعلى في التضحية والفداء زارعة الحب والخوف في قلوب العدو المحتل، إنهم صامدون لا يبخلون في تقديم التضحيات في سبيل وطنهم.

لقد كان الشعر في فلسطين الخبز اليومي للمقاومة فكان الوجود للكلمات المقاومة في شعر معين بسيسو، هو جود المقاومة في خط النار وهو وحدتها التي لا تتجزأ أبدا، حيث كان يقاوم الإستعمار بالكتابة العظيمة.

شاعر المعركة معين بسيسو، منذ فتح عينيه على نكبة وطنه وثورته ثم أغمضها على الحسرة والفجيعة ترك بواكير الملحمة في هذا الشعر الذي أرسله دويا يردد في آفاق وصورا لبطولة أبناء فلسطين في كفاحهم، فجاء شعره مرتبطا بقضية بلاده ولو مد الله في عمره لملأ دنيا العرب وشغل الناس كما كان المتنبي لكن نجم حياته هو قبل أن يحقق راية الإستقلال لأبناء شعبه.

ويضاف شعر معين بسيسو إلى المدونة الشعرية الأدبية العربية التي تتعظ بالقضية الفلسطينية، حيث الفداء والشهداء فقد كانت حياته مملوءة بالبطولة والتضحية حيث كان يعيش بعقلية المناضل الحقيقي الذي لا ينظر من عمله أي مكافأة وواجبة.

لقد قدس الشعر الفلسطيني مسؤولية الكلمة والتزم بها عن وعي وإدراك عميقين وإذا كان كشعب فلسطيني نعتز بكافة الشهداء فلابد لنا أن نعتز بالشهداء الذين حملوا سلاح الشعر مع سلاح البندقية لعل بعضهم بسلتهم خطى الشاعر ويتزود بتجربته الشعرية الحافلة حيث ندر نفسه من أجل فلسكين ومن أجل أن يغرس قيم الوفاء الجميلة والنبيلة.

يعتبر الشاعر الفلسطيني معين بسيسو واحد من الشعراء الفلسطينيين الذين حملوا القضية الفلسطينية على أكتافهم، لذلك نجد شعره عبارة عن حلقة كاملة من النضال والمقاومة والبسالة ضد المحتل الغاشم، فلم يكن يرى معين هدفا أمامه سوى الأرض والمقدسات ويسعى دوما للتحرر ورفض الظلم.

معين بسيسو من العلاقات المضنية في حركة الشعر الفلسطيني المقاوم، ومن الوجوه الأدبية والثقافية الفلسطينية البارزة واللامعة التي ساهمت في النهضة الثقافية في فلسطين، حمل راية الواقعية وارتبط بالحركة الشعبية النضالية في سبيل الإستقلال والتحرر الوطني والديمقراطية والتقدم الإجتماعي، وكان لولبا نشطا في مواجهة المهمات الشاقة واستنفار الهمم من أجل الدفاع عن قضية فلسطين والقضايا العربية الإنسانية.

كسب معين بسيسو لنفسه الخلود وأبد الدهر بفضل إبداعه الشعري الأصيل وسيرته الحياتية التي تميزت بالصدق والإستقامة والجرأة والشجاعة وسيبقى في القلب والوجدان الشعبي الفلسطيني بقصائده الوطنية والثورية علامة مشرقة ومضيئة فوق خريطة الحلم الفلسطيني.

فتحية منا إلى الشعب الفلسطيني المناضل وفدائية الأبطال وألف تحية إلى شهدائه البررة الذين سقوا تراب فلسطين بدمائهم الزكية التي أنبتت أبطالا فدائيين يتابعون مسيرة الكفاح في سبيل التحرير الكامل للأرض فلسطين.

1. القرآن الكريم

- إبراهيم نصر موسى، آفاق الرؤية الشعرية، دراسات في أنوع التناص في شعر فلسطين معاصرا، د. ط1، وزارة الثقافة، الهيئة العامة للكتاب، 2005.
- إحسان عباس، اتجاهات في الشعر العربي المعاصر، طبعة2، دار منشورات شمس.
- الأعمال الشعرية الكاملة معين بسيسو.
- تجربة السجن عند شعراء فلسطين، الخطيب رشا عبد الله، المجتمع، الثقافي 1999، ط1، مجلد 1.
- التجليات الشعرية، قراءة في الشعر العربي المعاصر، فوزي عيسى، منشأة المعارف، مصر، ط2، 2006، ص94.
- التراث الشعبي الفلسطيني، ملامح وأبعاد، د. خليل إبراهيم حسونة، مكتبة اليازجي، غزة 2002.
- ثرية عبد الفتاح محسن، القيم الروحية في الشعر العربي قديمة وحديثة، دار الكتاب البناني، بيروت، سنة 1964.
- جمال يونس، لغة الشعر عند سميع القاسم، مؤسسة النوري، دمشق، ط1، 1991.
- جماليات القصيدة الفلسطينية، ماهر اليوسفي.
- حكمت ياسين "الغزو الفلسطيني"، مجلة الثقافة، العدد 28 أكتوبر 1975.
- حن زاهر الجوهر، الشعر الفلسطيني في الأرض المحتلة (1990 - 2000)، دار منشورات شمس، ط2.
- خالد الكركي، الموز التراثية العربية في الشعر الحديث، بيروت، دار الجيل، 1989م.
- نادي الساري الديك، ما قالته غزة للبحر، دراسة نقدية في تجربة معين بسيسو الشعرية، رام الله، وزارة الثقافة الفلسطينية.
- ديوان معين بسيسو، الأعمال الشعرية كاملة، معين بسيسو2008.
- رمضان الصباغ، في نقد الشعر العربي المعاصر، دراسة جمالية، دار الوفاء، للطباعة والنشر والتوزيع، الإسكندرية.

- رؤية نقدية في أعمال شعر معين بسيسو المسرحية، نعمان عبد الله، بعنون: لم تسقط من يده الجمرة، إتحاد الأدباء والكتاب الفلسطينيين، 1988.
- السجون وآثارها في الآداب العربية، واضح الصمد، المؤسسة الجامعية، بيروت، 1990.
- سليمان أبو ستة "نكبة فلسطين، مجلة العربي، العدد 498، أكتوبر 2000م، المجلد الثاني والثلاثون.
- سهير القلماوي، النقد الأدبي، دار الكتاب الحديث، القاهرة، ط2.
- سؤال الهوية الفلسطينية الأدب والأديب، عادل الأسطة، دار مؤسسة فلسطينية، الطبعة 1، جزء 1.
- السيد بحراوي، الإيقاع الشعري في شعر السياب، وزارة الترجمة والنشر، 1996.
- ظواهر فنية في شعر التفعيلة عند معين بسيسو، رسالة ماجيستر، إعداد عبد الفتح النجار، إشراف حسني محمود، 1997، ص83.
- إحسان عباس ، فن الشعر، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان - الأردن، ط4، 1987.
- عبد القادر هني، نظرية الإبداع في النقد العربي القديم.
- القضية الفلسطينية، خلفياتها التاريخية وتطوراتها المعاصرة، تأليف محسن محمد صالح، مركز الزيتونة للدراسات والإستشارات، بيروت، لبنان، 2012 - 1433هـ.
- محمد العمشاوي، دراسات في النقد الأدبي المعاصر، دار النهضة العربية، بيروت، 1986، ص294، مجلد1، ط1، ص301.
- محمد عبد المنعم خفاجي، دراسات في الأدب العربي الحديث ومدارسه، ج1، دار الجيل، بيروت، ط1، 1992
- محي الدين صبحي، شر الحقيقة، دراسة في نتاج معين بسيسو، بيروت، دار الطليعة، ط1، 1982.
- معين بسيسو ... والوطن الدامي ممزق، بقلم شامخ بدرة، موقع: مؤسسة فلسطين للثقافة.

- معين بسيسو الأعمال الشعرية الكاملة، دار العودة، بيروت، ط1، 1979.
- معين بسيسو، الأشجار تموت واقفة، شعر، بيروت، دار الآداب، 1964.
- معين بسيسو، بين السنبلة والقنبلة، كتاب لوتس، عكا دار الأسوار، 1988.
- معين بسيسو، مارد من السنابل، دار الكتاب العربي، القاهرة، 1967.
- ملامح التراث في شعر معيب بسيسو، الجامعة الأردنية، كلية الأدب، قسم اللغة العربية، إعداد الطالب حسن عطية، 1993، درجة ماستر، الأردن.
- مورية شموئيل، حركات التجديد في موسيقى الشعر العربي الحديث، ترجمة وتقديم سعد مصلوح، دار النشر العربي، تل أبيب، ط2، 1970.
- موسوعة الأدب الفلسطيني المعاصر، 1997، تحقيق سلمى الخضراء الجيوسي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، 44 مجلد1.
- هرنشو، علم التاريخ، ترجمة عبد الحميد العبادي، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، مصر 1973.
- هواجس أسير (أدب السجون في فلسطين)، كفاح طافش 2013، دار الجندي للنشر والتوزيع في القدس، ط1، مجلد1 .
- يوسف أيوب حداد، "مجلة كنعان"، العدد 115، مركز إحياء التراث العربي الفلسطيني، 2003م.

2. مجلات ودوريات

- مجلة كرمل، إعداد محمد عادل عبد الرشيد، يونيو 2009، 11:30 .... العدد ثمانية وعشرون.
- http://www.alkarmel.org/prenumleri/html
- أبو شاور رشاد، الشاعر معين بسيسو (مقال، موقع اللغة العربية)، 2007، قاراءات في الأدب الفلسطيني.
- دفاتر فلسطينية، معين بسيسو، دار صلاح الدين، منشورات شمس، 1978.

3. رسائل

- مذكرة التخرج، إيقاع الموسيقي وتطوره في القصيدة العربية المعاصرة، 2004-2005، إعداد عبد الله محمد، إشراف د. مصطفى عبد المجيد.
- مذكرة تخرج، "القضايا الوطنية والقومية في شعر مفدي زكرياء، سنة 2004-2005، من إعداد فاطمة حساين ويمينة حاج سماحة، جامعة مستغانم، كلية الأدب والفنون.
- أدب السجون والمنافي، يحي الشيخ صالح، رسالة دكتوراه، قدمت لجامعة الجزائر، 1993، محفوظة بمكتبة الأسد، دمشق.

الآية ..... ب
إهداء ..... ت
كلمة شكر ..... ث
مقدمة ..... ج
تمهيد: أثر الحرب على الكتابة الشعرية الفلسطينية 1
الفصل الأول: تجليات المقاومة في شعر "معين بسيسو" 9
1. حياة الشاعر "معين بسيسو" 10
أ. مولـده 10
ب. نشأة الشاعر ودراسته 10
ج. أعمـاله 14
2. . قضايا في شعر "معين بسيسو" 17
أ. الخطابية والمباشرة 18
ب. المعجم الشعري 19
ج. توظيف الشخصيات 22
د. توظيف الشخصيات التاريخية 22
3. تجليات المقاومة في شعر "معين بسيسو" 26
أ. معين بسيسو شاعر المقاومة والوحدة الوطنية 27
ب. موضوعة الوطن 30
ج. تجربة السجن 32
الفصل الثاني: مقاربة تطبيقية لبعض القصائد **35**
1. دراسة جمالية لقول الشاعر عند "معين بسيسو" 36
2. قصيدة المعركة أنموذجا 45
أ. تحليل القصيدة 45

ب. القيم الجمالية للقصيدة 48
ج. الوحدة بين أجزاء القصيدة 50
د. الإيقاع الموسيقي (الداخلي والخارجي) 52
خاتمة ..... خ
قائمة المصادر والمراجع ..... ذ
محتوى البحث ..... ش